

Tirage à part des *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque impé-
riale*, publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres

PARIS — TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES FILS ET C^o.

IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE

rue Jacob, 24

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

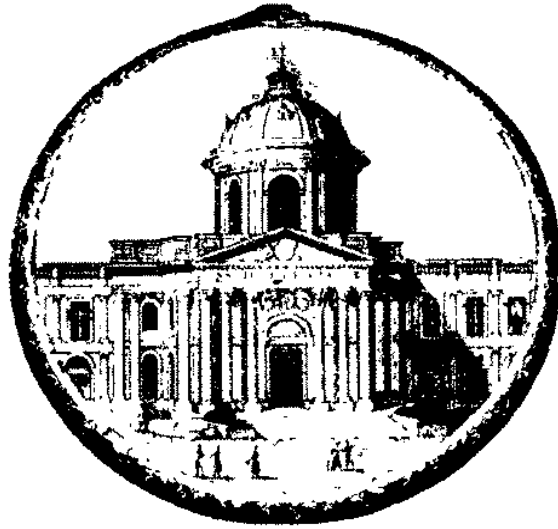
D'EBN-KILALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE.

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER — PREMIÈRE PARTIE



PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE
RUE DU CLOître SAINT-JEAN, 7

M DCCC LVIII.

1858

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN

بمولى العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي وقد الله تعالى الحمد لله الذي له العزة
والجبروت وبيده الملك والملكوت ولد الاسماء الحسنى والنعوت
العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم او يخفيه السكوت القادر فلا
يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت انشاءنا من الارض نسبا
واستعمرنا فيها اجيالا واما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا
الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

ونعتورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت وله البقا والشبوت وهو الحق الذي لا يموت والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي المكتوب في التوراة والانجيل الزعوت الذي تمخص لمصالح الكون قبل ان تتعاقب الآحاد والسبوت ويتباين زحل والنجوم وشهد بصدقته الحمام والعنكبوت وعلى آله واصحابه الذين اهتم في محبته واسباه الانر البعيد والصيت والشمل السديع في مظاهرتة ولعدوهم الشمل الشتيت صلي اللد عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جذه المسخوت وانقطع بالكفر حبله الهتوت رسام كثيرا (اما بعد) فان فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاحمال ونشد اليه الركاب والرحال وتسمو الي معرفته السوفة والاشغال وتتنافس فيه العاركت والاقبال وتتسارو في فهمه العلماء والجهال اذ هر في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الابرار والدليل والسوانق من الفنون الال تنفق لها الافوال وتصرف فيها الامثال ونظرف بها الالدية ادا غصها الاحتفال ونودي لها سنان الحليمة ككب نغابت بها الاحوال واتسع للدول النطاق فيها الاحمال وتصروا الارض حتى نادى بهم الارتحال وجران منهم الزوال وفي باطد نثار وتحقق ويعاليل للكانات ومباديها دفيق وصام بكينيات الوفابج واسبابها عبت فهو لذلك اصل في الحكمة عربق وحدس بيان بعدد في علومها ونحليق وان فحول السورخين في الاسلام فد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفانر

واودعوها ونحاطها التطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها
 وابندعوها وزخرف من الروايات المتعفة لغفوها ووضعوها واقتنى
 تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وانبعوها وادوها اليها كما سمعوها
 ولم يلاحظوا اسباب الوقايح والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترجمات
 الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب
 كليل والغايط والوهم نسيب للاخبار وتحليل والتقليد عسرى في
 الادميين وسليل والتطفيل على النور عربى طوبى له وسرعى
 السجده بين الانام وبيل والحق لا يفارم سلسلانه والباطل يقذف
 بشهاب النظر شيطانه والنافل انما هو يدلى ونشل والبصيرة نغد
 الصحيح اذا تمفل والعلم يجمل لها حشوات الصواب ويصقل هذا
 وقد دون الناس في الاخبار واكثرها وحدها نوارس الاسم والدول في
 العالم وسطروا والذين ذهبوا بنقل الشهرة والامامه البعبيرة واستغروا
 دواوين من قبلهم في صحفهم اليناخرد فهم فلياسون لا يكادون
 سجاوزون عدد الانامل ولا حركات الترامل مثل ابن اسحق
 والطبرى والكلبى ومحمد بن عمر الراقدى وسيف بن عمر الاسدى
 والمسعودى وغيرهم من المشاهير والمتعجبين عن السجدهيين وان
 كان في كتب المسعودى والرافدى من المطعون والمغذوم ما هو
 معروف عند الانبيات ومشهور بين الحنظة والفتات الا ان الكامد
 اختصوهم بتبديل اخبارهم وافغا سننهم في التصريف واتباع آثارهم
 والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما يتناون او اعتبارهم

فللعمران طبائع في احواله يرجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار ثم ان اكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في الآخذ والتهارت ومن هؤلاء من اوعب ما قبل الهلة من الدول والامم والامر العجم كالمسعودى ومن نحا منحاه وحاء بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعيد فقيده شوارد عصره واستوعب اخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن ابو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افريقيّة والدولة التي كانت بالقيروان لم يات من بعد هؤلاء الا مقلد وبليد الطبع والعقل او متبلد ينسخ على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثال وبذهل عما احواله الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقايع في العصور الاول صوراً قد تجردت عن موادها وصفاحا انتضيت من اغيادها ومعارف تستنكر للجهد بطارفيها وتلادها انها هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تغبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها انباعا لمن غنى من المتقدمين بشأنها ويغفلون امر الاجيال الناشئة في ديوانها بما اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم (1) عن

(1) Manusc. B. ترجمهم, manusc. C. صحفهم.

بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادئ الاحوال ومرانيتها مفتشا عن اسباب تراجعها او تعاقبها باحثا عن المقنع فى تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك ككده فى مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والافتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوائد واخلوها بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعواید ولما طالعت كتب التوم وسبرت غور الامس واليوم نبيت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وانا المتفلس احسن السوم فانشأت فى التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا وبنيت على اخبار الجيلين الذين عمرو المغرب فى هذه الاعصار وملوا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال والقصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان الذان عرف بالمغرب ما وهما وطال فيه على الاحقاب

مشواها حتى لا يكاد يتصور عنه (1) متواهما (2) ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواها فهذبت مباحثه تهذيبا وقربته لافهام العلماء والخاصه تقريبا وسلكت فى تبويبه وترتيبه مسلكا غربيا واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الانسانى من الاعراض الذاتية ما يمتنع بعلل الكواين واسبابها وبعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتنفى على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب (المقدمة) فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالهاع بمغالط الهورخين (الكتاب الاول) فى العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنایع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب (الكتاب الثانى) فى اخبار العرب واجيالهم واولهم منذ مبداء الخليقة الى هذا العهد وفيه الالهام ببعض من عاصرهم من الاعم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى اسرائيل والقبط ويونان والتركت والروم (الكتاب الثالث) فى اخبار البربر ومواليهم من زنانه وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم لما كانت الرحلة الى

(1) Man. A. من.

(2) Man. C. منشواها.

المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الفرض (1) والستة في مطافد ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافتت ما نقصني من أخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيها ملكوه من الأقطار وانبعث بها ما كتبت في تلك الأساطير وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الأجيال من أمم النواحي وملوك الأمصار منهم والنواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مفتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الأسباب على العموم إلى الأخبار على الخصوص فاستوعب (2) أخبار الخليقة استيعابا وذلّل من الحكم النافرة صعبا واعطى لحوادث الدول عللا وأسبابا وأصبح للحكمة صَوَانًا وللناريخ جرابا ولها كان مشتتلا على أخبار العرب والبربر من أهل المدر والوبر والألمام بين عاصرهم من الدول الكبرى وافصح بالذكرى والعبر في مبادئ الأحوال وما بعدها من الخبر (3) سهيته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ولم أنرك شيئا في أولية الأجيال والدول وتعاصر الأسم الأول وأسباب التصرف والحول (4) في القرون الخالية والهيلل وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وفلة وعلم وصناعة وكسب وإضاعة وأحوال منقلبة مشاعة وبدو وحضر

(1) Man. B. الفرض

(2) Man. B. استوعبت

(3) Man. A. الخبر

(4) Man. B. الحول. C. الجول.

وواقع ومنتظر الا واستوعبت جهله واوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضا في مثل هذا القضا راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا بالبضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبى ونعم الوكيل

(المقدمة) في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع بما يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفايذة شريف العايذة (1) اذ هو يقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والهلوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فايذة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكببان به عن الهزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتد (2) فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتهاع الانسانى ولا قيس الغايب منها

(1) Man. C. الغاية.

(2) Man. B. اعتد. C. اعتبر.

بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة
القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين
وايئة النقل الغالط في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها
باشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيدا
الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت
في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها
الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودى وكثير
من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل وان موسى عليه السلام
احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة
من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون وبذهل
في ذلك عن تقدير مصر والشام وانساعهما لئلا هذا العدد
من الجيوش فلكل مملكة من الهمالك حصة من الحامية
تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد
المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا
العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها
وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف
يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفيين وشى من
جوانبه لا تشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالهاضى

اسبه بالآنى من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامد بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالك بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جمعهم بالفادسية مائة وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا فى اتباعهم اكثر من مائتى الف وعن عايشة والزهرى ان جموع رستم التى زحف بها لسعد بالفادسية انها كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بمواسرائيل مثل هذا العدد لآسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامبة والعبيل القايمين بها فى قلتها وكثرتها حسبما يتبين فى فصل الممالك من الكتاب (1) والقوم لم تنتسح ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخبير من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل اما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن قاهت بفتح الهمزة او كسرهما بن لاوى بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو

(1) Le man C ajoute الاول

اسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة والمدة بينهما على ما نقله
 الهمسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين
 انوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بهصر الى ان خرجوا
 مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة يتداولهم
 ملوك القبط من الفراعنة وبعده ان يتشعب النسل في اربعة
 اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش
 انما كان في زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فبعيد ايضا اذ
 ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر ابا فانه سليمان بن
 داود بن ايشاي بن عويد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوغز بن
 سلوون بن نجشون بن عميناذاب ويقال حميناذب بن رام بن
 حضرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بارس بن يهوذا بن
 يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا
 العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون واما ان
 تجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في
 الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا
 والذي ثبت في الاسرايليات ان جنود سليمان كانت اثني عشر
 الفا خاصة وان مقربانه كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على
 ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
 العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام كان عنقوان دولتهم
 وانساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في

الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا في احصاء اموال الحبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضايح الاغنياء الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستتبحت احوال اهل الثروة في بضايحهم وفوايدهم واستجلبت عوايد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرابة وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن العقب والمنقذ حتى لا يحاسب نفسه على خطا ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه وبسيم في مرائع الكذب لسانه وبشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك بها صفقة خاسرة وقد يقال ان العوايد انها تمنع من نمو الذرية الى مثل (1) هذا العدد في غير بنى اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان فيما اوحى الى آبايهم من الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم حتى يكاثرون نجوم السماء وحصى الارض وانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة خارقة للعادة في حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد بالطعن على خبر ذلك وانه انها ورد في التوراة واليهود قد

(1) Man A. نسل.

بدلوها على ما هو معروف فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره لان العادة مانعة من اعتماد اهل الاديان ذلك في صحفهم الالهية كما ذكره البخارى فى صحيحه فيكون هذا النمو الكثير فى بنى اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك فى غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الرحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليه حاجة واختصاص كل سملكة بعددها من الحامية صحيح وبنو اسرائيل لم يكونوا اولا حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النحو ليستولوا على ارض كنعان التى وعدهم الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادى الى الحق (ومن الاخبار الواهية للهورخين) ما ينقلونه كافة فى اخبار التبايعه ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قرارهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب والى الترك وبلاد التبت من بلاد المشرق وان افريقس (1) بن قيس بن صيفى من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افريقية واثخن فى البربر وانه الذى سماهم بهذا الاسم حين سجع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من يومئذ وانه لما انصرف عن المغرب جهر هناك قبائل من حمير فاقاموا بها فاختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني

(1) امرنفس. Man. B. امرنفس. Man. A.

والمسعودى وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وياباه نسابة (1) البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا لاذعار من ملوكهم بعد افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودونحه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية انه ملك الموصل واذر بيجان ولقى الترك فهزمهم واثنى فيهم ثم غزاهم وثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزا ثلاثة من بنيه الى بلاد فارس والى بلاد الصغد من اعم الترك ورآه النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثانى الذى غزا الى الصغد قد سبقه اليها فاتحنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنايم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فحاصرها ودونح بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عربقة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصاص الهوسوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من

(1) Noun. A. نسيبة.

الشرق وبحر السويس الهابط منه أيضا الى السويس من اعمال مصر من جهة الغرب كما تراه في مصوّر الجغرافيا فلا يجد السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسالك هناك ما بين بحر السوسوبس والبحر الشامى قدر مرحلتين فيها دونها ويبعد ان يمر بهذا المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير ان تصير من اعماله هذا ممتنع فى العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالقة وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التبابعة حاربوا احدا من هولاء الامم ولا ملكوا شيا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا فى غير اعمالهم احناجوا الى انتساف الزروع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمترون عليه ولا يكفى ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفى لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يهتروا فى طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودّخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تهت بهولاء الامم ولا تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالهسالة فذلك ايضا ابعد واشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادى الرمل الذى يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره فى المغرب على كثرة سالكه ومن نفص طرقه من الركاب والغزى فى كل

عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة ما تنوقر الدواعى على نقله واما غزوهم بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسلك السوبس الا ان الشقة هنا ابعد وامم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط ان التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يحاربون اهل فارس على حدود ارض العراق وبلاد العرب ما بين البحرين والحيرة الهناخية بينهما فى الاعمال وقد وقع ذلك بين ذى الاذعار منهم وكيفاوس من ملوك الكينية وبين تبع الاصغر ابوكرب ويستاسب منهم ايضا ومع ملوك الطوائف بعد الكينية والساسانية من بعدهم فمجازاة التبابعة ارض فارس بالغزو الى بلاد الترك والتبت ستنع عادة من اجل الامم المعترضة دونهم والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مرّ فالانخبار بذلك واهية مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهى لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق ان تبعا الآخر سار الى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس واما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجه بما تقرر فلا تثقن بها يلتقى اليك من ذلك وتامل الانخبار واعرضها على القوانيين الصحيحة يقع لك تمحيصها باحسن وجه والله الهادى الى الصواب (فصل) وابعده من ذلك واعرق منه فى الوهم ما يتناقله الهفتسرون فى تفسير سورة الفجر عند قوله تعالى الم تركيف فعل

ربك بعاد ارم ذات العماد يجعلون لفظة ارم اسما لمدينة
وصفت بانها ذات العماد اي الاساطين وينقلون انه كان لعاد
ابن عوض بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك
شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف
الجنة فقال لابن ميثم مثلها فبنى مدينة في صحارى عدن في ثلثماية
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا ذكر ذلك الطبرى والثعالبي والزمخشري وغيرهم من
المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج
في طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره
الى معوية فاحضره وقص عليه فبعث الى كعب الاحبار وساله عن
ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وفي عنقه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله
هذا ذلك الرجل انتهى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من
يومئذ في شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها
بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والركاب
والادلاء تنفض طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر

ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست
 فيما درس من الآثار لكان اشبه الآ ان ظاهر كلامهم انها موجودة
 وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي
 الهذيان ببعضهم الى انها غايبة عن الحس وانما يعثر عليها اهل
 الرياضة والسحرة مزاعم كلها شبيهة بالخرافات والذي حمل
 الهفترين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظ ذات
 العباد من انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين يتعين ان
 يكون بناء ورشح لهم ذلك قرآنة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه
 بالاقاصيص الموضوعة واقرب لتفاسير (١) سيفوية النقولة في عداد
 المضحكات والآ فالعماد هي عماد الخيام وان اربد بها الاساطين
 فلا بدع بوصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشهر
 من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما
 في قرآنة ابن الزبير فعلى اضافة النصلة الى القبيلة كما تقول
 قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار من غير ضرورة الى هذا
 المحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه امثال هذه الحكايات الواهية
 التي تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (ومن الحكايات
 المدخولة للهورثيين) ما ينقلونه كافة عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة
 من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه

(١) Man. A. لتفاسير.

لكلفه بئكانها من معاقرة اياها الخمر اذن لها فى عقد النكاح
دون الخلوة حرصا على اجتماعهما فى مجلسه وانّ العباسية
تحيلت عليه فى التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى
واقعا فى حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشيده فاستغضب
وهيئات ذلك من منصب العباسية فى دينها وابوتها وجلالها
وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال
هم اشراف الدين وعظماؤا الملة من بعده العباسية بنت محمد
المهدى بن عبد الله ابنى جعفر المنصور بن محمد السجاد بن
على ابنى الخلفاء بن عبد الله ترجمان القران بن العباس عم
النبي صلى الله عليه وسلم بنت خليفة اخت خليفة محفوفة
بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وامامة
الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من ساير جهانها قربة عهد
بداوة العربية وسداجة الدين البعيدة من عوايد الترف ومرابع
الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين
توجد الطهارة والزكاة اذا فقد من بيتها وكيف تاحم نسبها
بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربى بهولى من موالى
العجم تملك جده من الفرس مولاة (1) جدها من عمومته
الرسول واشراف فريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه وضبع
ابيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل الشريف وكيف يسوء

(1) او تولها. C. Mau.

من الرشيد ان يصهر الى موالى العجم على بعد همته وعظم آبايه
ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة
ملك من اعظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى
من موالى دولتها وفي سلطان قومها واستنكرة ولج (1) في
تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة
ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية حتى
كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره
وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه
فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها
بالروساء من ولدهم وصناعاتهم واحتازوها عن سواهم من وزارة
وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين
صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة
بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لكان ابيهم يحيى من
كفالة هارون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج
من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابنتي فتوجه الايثار
من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم
وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت
عليهم الآمال وتخطت اليهم من اقصى السخوم هدايا الملوك

(1) Man. A. لجا.

وتحرف الامراء وتسربت الى خزائهم في سبيل التزلف
والاستهالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظما
القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا (1) من بيوتات الاشراف
المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا
لعفاتهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضياغ من
الضواحي والامصار في ساير الممالك حتى اسفوا البطانة
واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه
المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب
السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة (2) احوال جعفر من اعظم
الساعين عليهم لم تعطفهم لها وقر في نفوسهم من الحسد
عواطف الرحم ولا وزعتهم اوامر القرابة وقارن تلك عند
مخدومهم نواشى (3) الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن
الحقود (4) التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار
على شانهم الى كبار المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد
الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي
محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على الهنصور
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد
الديلم على امان الرشيد بنخطه وبذل الف الف درهم على

(1) Man. B. كسبوا.

(2) Man. B. قحطبة.

(3) Man. A. مواشى.

(4) Man. A. الحقود.

ما ذكره الطبرى ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره
 وإلى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله
 والاستبداد بحل عقاله حرصا لدماء اهل البيت بزعمه ودالة
 على السلطان فى حكمه وساله الرشيد عنه لما وشى به
 عليه فظن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها فى
 نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نزل
 عرشهم واكفيت عليهم سماوهم ونحسفت الارض بهم ودارهم
 وذهبت سلفا ومثلا للاخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم
 واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممدد
 الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد الله فى مفاوضة الرشيد عم
 جدّه داوود بن على فى شأن نكبتهم وما ذكره فى باب
 الشعراء من كتاب العقد فى محاوره الاصمعى للرشيد وللفضل
 بن يحيى فى سمرهم تتفهم انه انما قتلهم الغيرة والهنافسة
 فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
 اعداؤهم (1) من البطانة فيها دسوه للمغنيين من الشعراء احتيالا
 على اسماعه للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله
 لبت هند انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
 واستبتت مرة واحدة انها العاجز من لا يسجد
 وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بعثوا بامثال

(1) Man. A. et B. اعدادهم.

هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انتقامه فعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما تموه به الحكاية من معاقره الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا (1) لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بها يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان وبكايه من مواعظهم ودعايه بهكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح باول (2) وقتها حكي الطبري وغيره انه كان يصلى كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحجّ عاما ولقد زجر ابن ابي مرجم مضحكة سهره حين تعرض له بهتل ذلك في الصلاة لها سمعه يقرأ وما لي لا اعبد الذي فطرني قال والله لا ادري لم فما تمالك (3) الرشيد ان ضحك ثم التفت مغضبا وقال يا بن ابي مرجم في الصلاة ايضا اياك اياك والقران والدين ولك ما شئت بعدها وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب (4) عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه ابي جعفر بعيد زمن اتما خلفه غلاما وقد كان

(1) Man B. حاشى لله. C. حاشى.

(3) Man. A. تهلك.

(2) Cod. B. لاول.

(4) Man. A. بقرب.

ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو
القايل ليالك حين اشار عليه بتاليف الهوطا يا ابا عبد الله
انه لم يبق على وجه الارض اعلم منى ومنك واننى قد
شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه
رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطيه للناس توطية فقال
مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه
الهدى ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من
بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطين
فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف الهدى من
ذلك وقال يا امير المؤمنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا
من عطاءى فقال لك ذلك ولم يصدده عنه ولا سمح
بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب
العهد من هذا الخليفة وابوته وما رى عليه من امثال هذه
السير فى اهل بيته والتخلق (1) بها ان يعاقر فى الخمر او يجاهر
بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية فى
اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم (2) وكان شربها
مذمة عند الكبير منهم والرشيد وآبوا على ثبج من
اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم والتخلق بالمحامد
واوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبرى

(1) Man. A. التخلق.

(2) Man. A. شجرتهم.

والمسعودى فى قصة جبرئيل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك فى مايدته فحماه عنه ثم امر صاحب المايذة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصبّ على الثانية ماءً مثلجاً وعلى الثالثة خمراً صرفاً وقال فى الاول والثانى هذا طعام امير الهومنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام بختيشوع ودفعها الى صاحب المايذة حتى اذا اتته الرشيد واحضر للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفقت ووجد الاخرين قد فسدا وتغيرت رايحتها فكانت له فى ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عند انه عهد بحبس ابي نواس لما بلغه من انهاكه فى المعاقرة (1) حتى تاب واقلع وانها كان الرشيد يشرب نبيذ التهر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من الغنّب فلا سبيل الى اتهامه بها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اوليك القوم كلهم بمنجاة

(1) Cod. A. المسافرة.

من خنث السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسايير
متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين
التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى
الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبرى
والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بنى
امية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من
الفضة فى المناطق والسيوف والالجم والسروج وان اول خليفة
احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن
الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا فى ملابسهم فما
ظنك فى مشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت
طبيعة الدولة فى اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح فى
مسايل الكتاب الاول ان شاء الله تعالى (وبناسب هذا) او
قربا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون
وصاحبه وانه كان يعاقر الهامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه
فدفن فى الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

باسيدى وامير الناس كلهم فد جارفى حكمة من كان يسفينى
انى غفلت عن الساقى فصبرنى كما ترانى سلب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد وشرابهم
انما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من
شانهم وصحابته للمامون انما كانت خلة فى الدين ولقد ثبت

انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام يتجسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكرم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحى بن اكرم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذى في كتابه الجامع ذكر الحافظ المزنى ان البخارى روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم (1) وكذلك ينزه المتجان بالميل الى الغلمان بهتانا على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسدا في كماله وخطئه للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها (2) عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا واثنى عليه وقيل لاسمعيل مما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله لتكذيب باغ وحاسد وقال يحيى بن اكرم ابراء الى الله من ان يكون فيه شئ مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اقف على سرايره فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بما روى به وذكره ابن حبان في

(1) Man. A جميعه

(2) نبذة. A. ينسزه B Man (2)

الثقات وقال لا تشتغل (1) بما يحكى عنه لان اكثرها لا تصح عنه (ومن امثال) هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه عثر في بعض الليالى في تطوافه (2) بسكك بغداد بزنبيل مدلى (3) من بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقتعده وتناول المعلق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشته وتنصيد ابنته (4) وجمال روايه ما يستوقف الطرف ويملك النفس (5) وان امراة برزت من خلل الستور في ذلك المجلس رابعة الجمال فتانة المحاسن فحيتته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه الى الاصهار الى ابيها واين هذا كله من حال المامون المعروفة في دينه وعلمه واقتفايه سنن الخلفاء الراشدين من ابايه واخذة بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله في صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المشتهرين (6) في التطواف بالليل وطروق

(1) Man. A. et B. يشتغل

(4) Man. C. ابنته.

(2) Man. A. تطوفه.

(5) Man. A. النفوس.

(3) Man. A. يدل.

(6) Man. C. المشتهرين. Je lis المستهزين.

المنازل وغشيان السم سبيل عشاق الاعراب وايسن ذلك
من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار
ابيها من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي
كتب المورخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث
بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المرؤة
وتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم
كثيرا ما يلمجون باشباه هذه الاخبار وينقرون (1) عنها عند
تصححهم لاوراق الدواوين ولو ايتسوا بهم في غير هذا من
احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم المشهورة عنهم لكان
خيرا لهم لو كانوا يعلمون (ولقد) عدلت يوما بعض الامراء من
اولاد الملوك في كلفه بتعلم الغنا وولوعه بالاو تار وقلت له
ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى
الى ابراهيم ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس
المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا (2) تأسيت
بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن
مناصبهم فصم عن عدلى واعرض (ومن الاخبار الواهية) ما
يذهب اليه الكثير من المورخين في العبيديين خلفاء الشيعة
بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله
عليهم والطعن في نسبهم الى اسعيل الامام بن جعفر

(1) Man. A et B. يقرون

(2) Man. A. حل

الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لققت
للستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن
ناصرهم وتفتنا في السمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه
الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات
وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب
دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبداء دولة
الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من
آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويبه على عبيد الله المهدي
وابنه ابي القاسم خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محل
الخلافة واجتازا بمصر واتهما خرجا من الاسكندرية في زى
التجار ونما خبرهما الى عيسى النوشزى عامل مصر
والاسكندرية فسرح (1) في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا
خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى
فافتوا الى المغرب وان المعتضد اوغرا الى الاغالبة امراء افريقية
بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الآفاق عليها
واذكاء العيون في طلبهما فعر اليسع صاحب سجلماسة من
آل مدرار على خفى مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة
هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم كان بعد
ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم

(1) Man. A. فخرج.

PROLÉGOMÈNES
d'Ébn-Khalikoun.

بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في الممالك شق الابلية وكادوا ياجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا كرتيا وما زال بنو العباس يغصون بيكانهم ودولتهم وملوك بنى امية وآء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى بالنسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذا كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوتهم وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فسأت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

فهيها تكن عند امر من خليفة وان خالها نحفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاة ومواطن الرسول ومدفنه وموقف الحج وسهبط الهلايكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اسم ما كانوا عليه من الصاغية اليهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل ابن جعفر الصادق وقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعبين الى بدعتهم هانفين باسماء صبيان من عقبهم يزعمون استحقاتهم لاختلاف

ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن (1) سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لها ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشتهه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة الهرجوحة ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك لها كانوا عليه من الاحقاد في الدين والتعيق في الرافضة فليس ذلك بدافع (2) في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغنى عنهم من الله شيا في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغنى عنك من الله شيا ومتى عرف امرء قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعة وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل
فلوسئل الايام ما اسى ما درت واين مكانى ما عرفن مكانى

(1) Man. A. فمن.

(2) Man. A. يدافع

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جدّ عبيد الله المهدي بالمكتوم ستمه بذلك شيعتهم لما أنفقوا عليه من اخفايه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلقوا بهذا الراى الفايلى الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم واسراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدرى والصيمرى وابن الاكفانى والاببيوردى وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد فى يوم مشهود وذلك سنة ثنتين واربعماية فى ايام القادر وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه (1) والحق من ورايه وفى كتاب المعتضد فى شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة

(1) Man. A. دعوة.

أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد أقعد
بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم
يجلب إليه بضائع العلوم والصنایع وتلتبس فيه ضوأل الحكم
وتحدى إليه ركائب الروایات والأخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والأفسن
والسفسفة وسلكت النهج الأئمة ولم تجر عن قصد السبیل
نفق (1) في سوقها الأبريز الخالص واللجين الصافي (2) وان
ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسامسة البغي والباطل
نفق البهرج والزاييف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه
وملتمسه (ومثل هذا) وابعده منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون
في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن على بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام
بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحسد (3)
بالتظن (4) في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد
مولاهم قبحهم الله وابعدهم ما اجهلهم اما (5) يعلمون ان ادريس
الاكبر كان اصهاره في البربر وانه مذ دخل المغرب الى
ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في

(1) Man. A. لفق.

(2) Man. B. et C. المصفي

(3) J'ai lu الحسد au lieu de الحدد.

(4) Man. A. بالنظن

(5) Man. A. أنها

كل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأتى فيها الريب واحوال حرْمهم اجمعين برأى من جاراتهن ومسمع من حيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل بين المساكن (1) وقد كان راشد يتولى (2) خدمة الحرم اجمع من بعد مولاة بمشهد من اوليايهم وشيختهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيه وآتوه طاعتهم عن رضى واصفاق وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا فى حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من نبي العباس اقتالهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر (3) ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فتح اوغر الهادى الى الاغالبة ان يقعدوا له بالهرصاد (4) ويذكروا (5) عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم (6) امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من

(1) Man. المساكين.

(2) Man. A. يقول.

(3) Je lis قر au lieu de قر.

(4) Man. C. المرصد.

(5) Man B. يذكروا.

(6) Man. B. فتم.

دسياسة الشيع للعلوية وادهانه في نجاة (1) ادريس الى المغرب
فقتله ودس الشماخ من موالى ابيه للتحيل (2) على قتل
ادريس فظهر للحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخالطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض
خلواته سما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس
احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم يتاد اليهم خبر الحمل المخلف
لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعنة
بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهزم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن
منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية
المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلاكه بالسموم
فعند ذلك فزعوا الى اولياهم من الاغالبه بافريقية في سد
تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من
قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم يخاطبهم
بدلك المامون ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغالبه من برابرة
المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزبون على ملوكهم احوج
لها طرق الخلافة من انزاء المماليك العجم على سدتها

(1) Man. B. نجاة.

(2) Man. B. للتحيل.

وامتطاهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
في رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وابرامها كما
قال شاعر عصرهم

خليفة في قفص بين وصيف وبعاء يقول ما قال له كما تقول البعنا

فخشي هولاء الامراء الاغالبه بوادر السعايات وتلّووا بالمعاذير
فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزة
حدود النجوم من عمله وبنفوذون (١) سكتته في تحفهم وهداياهم
ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته
وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه تهديدا بقلب الدعوة
ان الجيوا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعد
المسافة وافن عقول من خلف من صبية بنى العباس
ومالكهم العجم في القبول من كل قاييل والتسمع لكل ناعق
ولم ينزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبه ففرعت هذه
الكلمة الشنعاء اسماع الغوغا وصر عليها بعض الطاعنين (٢) اذنه
واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم
الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض فيها بين المقطوع
روالمظنون وادرس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان

(١) Man. C. ينقدون.

(٢) Man B الطاعن et C. الطاعن

تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فإله سبحانه
قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر
من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القران ومن اعتقد خلاف
هذا فقد باء بائنه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا
الرد سدا لاجواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته
اذناى (1) من قايله المعتد عليهم به القادح في نسبهم
بفريته (2) وينقله بزعمه عن بعض مورخى (3) المغرب ممن
انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا
فالمحل منزّه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث
يسحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم في الحياة الدنيا
وارجو ان يجادلوا عتى يوم القيامة (وليعلم) ان اكثر الطاعنين في
نسبهم انما هم الحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتهم الى
اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب دعوى
شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الآفاق فتعرض التهمة فيه
ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر بلاد
المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح (4) مبلغا لا يكاد يلاحق
ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والحيل من الخلف
عن الامة والحيل من السلف وبيت جدّهم ادريس مختطاً

(1) Man. A. اذنى

(3) Man. A. مورخ

(2) Man. B. بفريته

(4) Man. A et B. الوضوح.

فاس وموتسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلثهم ودروهم (1) وسيفه منتضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدد احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتميين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون فى انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفاييل والقول المكذوب تعللا بالمساواة فى الظنة والمشابهة فى تطرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرآوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى ابن مجد بن يحيى المعدام ابن القاسم بن ادريس بن

(1) Man. B. دورهم.

ادريس وهم بقايا اهل البيت هنالك والساكنون ببيت
جدهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله وهم بنو عمران بن محمد
ابن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الجوطى والنقيب لهذا
العهد منهم محمد بن علي (1) بن محمد بن عمران
(ويحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفايلة ما يتناوله
ضعفة الراى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدي
صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه
من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل البغى قبله (2)
وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك حتى فيما يزعم
الموحدون اتباعه انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء
على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسده على شانه
فانهم لما (3) راوا من انفسهم مناهضته فى العلم والفتيا وفى
الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى مسوع القول
سوطء العقب نفسوا ذلك عليه وعضوا (4) منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لهدياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدايه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لها كانوا عليه من

(1) Man. A. محمد.

(3) Man. B. دلوا.

(2) Man. A. مله.

(4) Man. A. et B. عضوا. Jelis.

السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة (1) العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل في بلده (2) وعلى قدره في قومه واصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناسبة لهم تشييعا للمتونة وبغضا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله (3) غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاوهم فنادى في قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز (4) انصارا وحامية وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يحرصها الا خالقها قد بايعوه على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقرّبوا الى الله باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ عن الحظ والمتاع في دنياه حتى الولد الذي رثيا تجنح اليه النفوس ويخادع عن تمتيه فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من

(1) Man. C. بحملة.

(3) Man. C. على.

(2) Man. B. في كل بلدة.

(4) Man. A et B. اغز.

الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تمّ امره وانفسحت دعوته سنّة الله التي قد خلت في عباده وأما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعضده حجة لهم مع ان (1) ثبت انه ادّعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدّقون في أنسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبها ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس ساير المصامدة ودانوا (2) باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغه حتى تمّ امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس لنسبه (3) وانما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها (4) وكان ذلك النسب الفاطمي خفياً قد درس عند الناس وبقي عنده وعند (5) عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كأنه انساخ منه ولبس جلدة هولاء وظهر (6) فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول (7) عند اهل العصابة ومثل هذا وقع كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفجة (8)

(1) Le M. A. omet مع انه يثبت ان Man. C.

(2) Man A. et B. ادانوا.

(3) Man. C. بسببه.

(4) Man A منها.

(5) Man. A. عنه.

(6) Man. C. طرر.

(7) Man. B. مجهول.

(8) Man. B. عرفجة.

وجرير في رياسة بجيلة (1) وكيف كان عرفة من الازد
ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر
رضى الله عنه كما هو مذكور تستفهم منه وجه الحق والله
الهادى الى الصواب (وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب
بالاطناب في هذه الهغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفّاط في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت
بافكارهم ولقتها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن
القياس ولقتها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية (2)
واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظرة مرتبكا وعد من مناحى العامة فاذن يحتاج صاحب
هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الموجودات واختلاف
الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوايد والنحل
والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك
ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول
الدول والهلل ومبادئ ظهورها واسباب حدوثها ودواعى كونها
واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبره
المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى

(1) Man. A. بجيلة.

(2) Man. A. روية.

على مقتضاها كان صحيحا ولا زيفه واستغنى عنه وما استكبر
القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى اتحلته الطبرى والبخارى
وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل (1)
الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستحقق
العوام ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والنخوض
فيه والتطفل عليه فاختلط المرعى بالهمل واللباب بالقشر
والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط الخفى
فى التاريخ) الذهول عن تبدل الاحوال فى الامم والاجيال
بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى وشديد الخفاء اذ
لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من
اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم
لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على
الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
والاقطار والازمنة والدول سنة الله التى قد خلت فى عبادة
وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنسبط
والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم فى
دولهم وممالكهم وسياستهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
وساير مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمادهم للعالم

(1) Man. A. et B دخل

تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب والفرجة فتبدلت تلك (1) الاحوال وانقلبت بها العوايد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذة الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وایامهم وذهب الاسلاف الذين شيّدوا عزهم (2) ومهدوا ملكهم وصار الامر في ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والافرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوايد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشايع في تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه كما يقال في الامثال الحكمية الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان ينزعوا الى عوايد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون عوايد جيلهم مع ذلك فيقع في عوايد الدولة بعض المخالفة لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشئ وكانت للاولى اشد مخالفة ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال

(1) Man. A. كل.

(2) Man. A. عربهم.

تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مامونة تخرجه مع الذهول والغلط عن قصده وتعوج به عن مراده (1) فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة مع ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما ينقله المورخون من احوال الحجاج وان اياه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصناعات المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية (2) والمعلم مستضعف مستكين منقطع الجذم (3) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصناعات المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصناعات للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون

(1) Man. B. امر الله

(2) Man. A. العصبية.

(3) Man. B. الخدم.

كتاب الله وستة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
 الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على
 الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه قتلوا
 واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون (1) على تعليم
 ذلك وتفهمه للامة لاتصدهم عنه لايمة الكبر ولا يزعهم (2)
 عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما
 جاء به من شرايع الدين بعث فى ذلك من اصحابه
 العشرة (3) فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق
 الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت
 بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
 لتعدد الوقايح وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا
 وصار العلم ملكة تحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنایع
 والحرف كما ياتى ذكره فى فصل العلم والتعليم واشتغل
 اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام
 به من سواهم واصبح حرفة الهعاش وشمخت (4) انوف
 المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
 بالمستضعفين وصار منتحله محققرا عند اهل العصبية والملك

(1) Man. A. فيصرحون.

(3) Man. B. الغرة.

(2) Man. A. et B. يزعهم; man. C. يزعهم. (4) Man. A. سخة.

والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم
ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما
علمت (1) ولم يكن تعليه للقران على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من
الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ما يتوهمه المتصفحون
لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من
الرياسة في الحروب وقود العساكر فترامى بهم وساوس
الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة
القضا لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن
ابى عامر حاجب هشام الهستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشبيلية اذا سمعوا ان آباءهم كانوا قضاة انهم مثل
القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضا من
مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول
وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القايمين
بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة
القضا كما هي لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر
القديم لاهل العصبيات من قبيل الدولة ومواليها كما هي
الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في

(1) Le man. A. ajoute ما.

الصوائف وتقليدهم عظيم الامور التي لا نقتد الا لمن له
الغنا فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال
الى غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر
اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم
منذ اعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة
اهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة
والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا
من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئسوا
للمذلة (1) يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي
التي يكون بها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف منهم
والصنائع متصدّين لذلك ساعين في نيله فاما (2) من باشر
احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون
التغلب بين الامم والعشائر فقل ما يغلطون في ذلك او (3)
يخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه
المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكهم فيذكرون اسمه ونسبه
وامه واباه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل
ذلك تقليدا لمؤرخي الدولتين من غير تفتن لمقاصدهم
والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون (4) تواريخهم لاهل

(1) Man. B. للمزلة.

(2) Man. A. فيها

(3) Man. A ام.

(4) Man. B يصنعون.

الدولة وابناوهم متشوقون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم لبعثوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى فى اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبه الدولة فى عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض فى قوتها وغلبها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الفايده للمصنف لهذا العهد فى ذكر الابناء والنساء ونقش الخانم واللقب والقاضى والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاندسين والذهول عن تحرى الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم كالساج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت وكافور الانشىدى وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير الايمان بايامهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم فى عداد الملوك (ولنذكر) هنا فايده نختم كلامنا فى هذا الفصل بها وهى ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمؤرخ يتبنا

عليه أكثر مقاصده ويتبين به اخباره وقد كان الناس يفرّدونه (1) بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهدده في عصر التّدثيين والثلاثماية غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصارا أما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الأحوال لأنّ الأمم والأجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير وأما لهذا العهد وهو آخر الماية الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب التي نحن شاهدوه وتبدّلت بالجملة واعتاض من أجيال البربر اهله على القديم بمن طراء فيه من لدن الماية الخامسة من أجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم انتزعوا منهم عامة الأوطان وشاركوهم في شئ (2) من البلدان لمكتهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه الماية الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيى الأمم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية

(1) Mat A. يفرضونه

(2) Man C. فيها بغي من

من مداها ففلس من ظلالها وفل (1) من حدها واوهى (2) من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن (3) وكأني (4) بالمشرق وقد نزل به ما قد نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانها وكانما نادى لسان الكون في لعالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها (واذا) تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكانه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعواید والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفوا مسلك المسعودى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من ياتي من المورخين من بعده (وانا) ذاكر في كتابي هذا ما امكنى منه في هذا القطر المغربى اما صريحا او مندرجا في اخباره وتلويحا لاختصاص قصدى في التاليف بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعى على احوال المشرق واممه لان الاخبار المتناقلة لا توفى كنه

(1) Man. A. et B. فل.

(2) Man. C. اوهن.

(3) Man. B. الساكن.

(4) Man. A. كان.

ما اريده منه والمسعودى انما استوفى ذلك لبعده رحلته
وتقلبه في البلاد كما ذكره في كتابه مع انه لما ذكر
المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذى علم عليم
ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعيين
واجب ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب
وانجحت له المساعي والمطالب ونحن آخذون بعون الله
فيما (1) رماه من اغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه
التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة في كيفية وضع
الحروف التي ليست من لغة العرب اذا عرضت في كتابنا
هذا (واعلم) ان الحروف في النطق كما يانى شرحه بعد
هي كفيات للاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من
تقطع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
والحنك والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغير كفيات
الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متمايزة في
السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضماير
وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف (2)
فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى
والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا
كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي

(1) Man. A. فيها.

(2) Man. A. الحروف.

لغتنا ايضا حروفا ليست فى لغتهم وكذلك الافرنج
والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب
من العرب اصطاحوا فى الدلالة على حروفهم الهمسوعة
باوضاع حروف (1) مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف
وباء وجيم وراء وطا الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم
الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى سهلا عن
الدلالة الكتابية (2) مغفلا عن البيان وربما يرسده بعض
الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه (3) من لغتنا قبله او
بعده وليس ذلك بكافى فى الدلالة بل هو تغيير (4)
للحرف من اصله (ولها) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى اسمائهم او بعض كلماتهم
حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا
الى بيانده ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطاحت فى كتابى
هذا على ان اضع ذلك الحرف العجيب بما يدل على
الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارى بالنطق به بين
مخرجى ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانها اقتبست
ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى

(1) Man. A. حرف.

(3) Man. B. يكتنفهم Man. C. يكتنفه.

(2) Man. A. et B. الكتابة.

(4) Man. A. تغيير.

قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مفخم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسهوا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك (1) رسمت انا كل حرف بتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم مثل اسم بَلَكَيْنِ فاضعها كفا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارى انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه و لو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكتنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق لا رب غيره

(1) Man. A. لذلك. Man. B. ذلك.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَیْدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
وَأٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِیْمًا

الكتاب الاول في طبيعه العمران في الخليفة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس
والعصبية واصناف الثقبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومرانها وما يتحلله
البشر باعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسایر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب متطرقا لاخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيه (فيها) التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص (1)
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأى
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(1) التخصيص. Man. B.

الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد وتمحيص
فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية
للکذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك
يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن الهقاصد
فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل
الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها)
توهم الصدق وهو كثير وانما يجيء في الاكثر من جهة الثقة
بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل
ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما راعها وهي
بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر
لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال
واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة
فالنفوس مولعة بحبّ الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها
من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل
لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا
وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في
العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان (3) او فعلا
لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

(2) Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخص له. Man. B. تخص.

احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودى عن الاسكندر لما عدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفى باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التى راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعابنتها ونم له بناؤه فى حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر واسواجده بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتفاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفى ذلك نلافد لا ينتظرون (1) بد رجوعه من غرره ذلك طرفه عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هى قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قاذحة فى تلك الحكاية والقادح المحيل (2) لها

(1) Man. C. ينظرون.

(2) Man. A. المحيد.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرية والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين في الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالغفونة ولم تداخلها الرياح فتداخلها فان الهتدلى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رتبه اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء الذي خرج اليد حار فيسولى الحر على روحه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودى ايضا في تمثال الزرزور الذى برومة تجتمع اليد الزرازير فى يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعث ذلك عن المجرا الطبيعى فى اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى فى بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والهدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يانى وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم (كما) نقله المسعودى ايضا فى حديث

مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحراء سجلماسة
 طرقها موسى ابن نصير في غزايه الى المغرب وانها مغلقة
 الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على
 الحايط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث
 مستحيل من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفضها
 الركاب والادلاء ولم يقفوا على هذه المدينة لخبر ثم ان هذه
 الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور
 الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود
 منها ان يصرف في الآنية والخرثى واما تشييد مدينة منها
 فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه
 انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في
 تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على
 التمحيص بتعديل الرواة (1) ولا يرجع الى تعديل الرواة (2) حتى
 نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او مهتنع واما اذا كان
 مستحيلا فلا فائدة في النظر في التعديل او التجريح (3)
 ولقد عدّ اهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ او تاويله ان يوؤل بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل
 والتجريح (4) هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها

(1) Man. A. et D. الرواية.

(3) Man. A. الترجيح.

(2) Man. A. et B. الرواية.

(4) Man. A. الترجيح.

تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن
بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواية للعدالة والضبط واما
الاخبار عن الوقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار
المطابقة فلذلك وجب ان ننظر (1) في امكان وقوعه
وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فايده
الانشاء مقتبسة منه فقط وفايدة الخبر منه ومن الخارج
بالمطابقة اذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من
الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع
البشرى الذى هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته
وبهتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان
يعرض له واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق
من الباطل في الاخبار والصدق والكذب بوجه برهانى
لامدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شئ من الاحوال
الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه
وكان لنا ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق
الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب
الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع
وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى وذو مسائل وهى
بيان ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا

(1) Man. B. تنظر. Man. C. ينظر.

شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً (واعلم) ان الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير (1) الفائدة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة (2) الذى هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة فى استمالة الجمهور الى راي او صدهم عند ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هى تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (3) فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفين الذين رتبها يشبهانه وكأنه علم مستنبط النشأة ولعهرى لم اقف على الكلام فى منجاة لاجد من الخليفة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلمهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيرة والحكماء فى اسم النوع الانسانى متعددون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس الذى امر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح واين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها واين علوم القبط من قبلهم وانما وصل الينا علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكلف الهامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك

(1) Mau. A. et B. عزير.

(2) Mau. الحكاية.

(3) Mau. B. بناؤه.

لكثرة المترجمين وبذل الاموال (1) فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة (2) طبيعية يصاح (3) ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالشهرات (4) وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط واذا كانت مسائله في ذاتها وباختصاصاتها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله تعالى اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا) الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجرى بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والمطلب مثل ما بذكره الحكماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثلما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة (5) التعاون والاجتماع وشأن العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع والقتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم موذن بخراب العمران

(1) Man. A. اموالا. (2) Man. A. B. D. متعلقة. (3) Man. B. بحيث.

(4) Man. A. في الشهرات. (5) Man. A. et B. طبيعية.

المقتضى فساد النوع وغير ذلك من ساير المقاصد الشرعية في الاحكام وانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المثلثة وكذلك ايضا يقع الينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (1) (ومن كلام الموبدان) لبهرام ابن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي ايها الملك ان الملك لا يتم عزة الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل الى العمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنسوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قتيها وهو الملك (ومن كلام انوشروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح الاعمال واصلاح الاعمال باستقامة الوزراء وراعى الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على ناديمها (2) حتى يملكها ولا تملكه وفي الكتاب المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك

(1) Man. A. يستوفوا.

(2) Man. C. ناديمها.

الكتاب الى هذه الكليات (1) التي نقلناها عن الموبدان
وانوشروان وجعلها في الدائرة الغربية التي اعظم القول فيها
وهي قوله العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحى به
السنة والسنة سياسة يسوسها (2) الملك (3) الملك
نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال الهال رزق
تجمعه الرعية الرعية عبيد يكتفهم العدل العدل مألوف وبه
قوام العالم العالم بستان ثم يرجع الى اول الكلام
فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت
اعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها
فخر بعشوره عليها وعظم من فوايدها وانت اذا تأملت كلامنا
في فصل الملك والدول واعطيته حقه من التصفح والتفهم
عشرت في اثنائه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجيالها
مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطلعنا الله
عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة (4) الموبدان وكذلك
نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر
السياسات الكثير (5) من مسايل كتابنا هذا غير مبرهنة كما
برهناه انما يجلبها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب
الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حوم (6) القاضي ابو بكر

(1) Man. B. الكلمات

(4) Man. B. فائدة.

(2) Man. B. بسومها

(5) Man. A. et B. الكثيرة.

(3) Man. D. الامام راع الامام

(6) Man. D. جزم.

الطوطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوّده على ابواب
تقرب من ابواب كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه
الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح
الادلة انما يبوّب الباب للمسئلة ثم يستكثر الاحاديث والآثار
وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والهوبدان
وحكماء الهند والمائور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر
الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأته حوم
على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق (1) قصده ولا استوفى
مسايله ونحن المهينا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكرة وجهينة خبرة فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنایع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله
وهداية وان فاتى شىء فى احصايه واشتبهت بغيره مسايله
فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل انى نهجت له السبيل
واوضحت الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (ونحن) الآن
نبيين فى هذا الكتاب ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من
احوال العمران فى الملك والكسب والعلوم والصنایع بوجوه
برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامّة
وتدفع بها الاوهام وترتفع الشكوك (ونقول) لها كان الانسان

(1) Man. B. تحقيق.

متميِّزا عن ساير الحيوانات بخواصّ اختصّ بها فمنها العلوم والصناعات التي هي نتيجة الفكر الذي تميِّز (1) به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامى لا بفكر وروية ومنها السعى فى المعاش والاعتمال فى تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء فى حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو المساكن والتنازل فى مصر او حلة للاناس بالعشرة واقتضاء الحاجات لها فى طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدوياً وهو الذى يكون فى الضواحي والجبال وفى الحلل المنتجة للقفار واطراف الرمال ومنه ما يكون حضرياً وهو الذى بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله فى كل هذه الاحوال امور تحدث من حيث الاجتماع عروضاً ذاتياً له فلاجرم انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة فصول (الاول) فى العمران البشرى

(1) Man. A. et B. يتميِّز.

على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (الثانى) فى العمران
البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (الثالث) فى البدول
والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) فى
العمران الحضرى والبلدان والامصار (الخامس) فى الصنایع
والعاش والكسب ووجوهه (السادس) فى العلوم واكتسابها
وتعلمها وقدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما
يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار
واما تقديم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم (١)
العلم كمالى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت
الصنایع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث
العمران كما يتبين بعد والله الموفق

الفصل الاول من الكتاب الاول فى العمران البشرى على
الجملة وفيد مقدمات

(الاولى) فى ان الاجتهاع للانسان ضرورى ويعبر الحكماء عن
هذا بقولهم الانسان مدنى بالطبع اى لا بد له من الاجتهاع
الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران بيانه ان

(١) Man. A. et B. تعليم.

الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا نصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله آلا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآت لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخار هب انه ياكله (1) حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخر (2) اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذى يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنایع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه لتحصيل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا فى الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع (3) الحيوانية كلها وقسم القدر بينها (4)

(1) Man. B. ياكل .

(3) Man. A. et C. الطبايع.

(2) Man C. اخرى

(4) Ce mot manque dans les man. A. et B.

جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيرة وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهية للصنایع بخدمة الفكر والصنایع تحصل له آلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال آلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنایع والمواعين المعدة لها فلا بد من ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركب الله عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لتقديان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله (1)

(1) Man. A. et C يعاجله

الهلاك عن مدى حياته وببطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتهاع ضرورى للنسوع الانسانى وآلا لم يكمل وجودهم (1) وما اراده الله من اعصار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى العمران الذى جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع فى قد الذى هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرّر فى الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع فى ذلك العلم فليس ايضا من الهمنوعات عندهم فيكون اثبانه من التبرعات والله الموفق بفضلده (ثم) ان هذا الاجتهاع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لها فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية فى دفع العدوان بينهم لآنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهوماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيرة بعدوان وهذا هو

(1) Man A وجوده

معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان
طبيعية لا بد لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات العجم
على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها
من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم
في خلقه وجثانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بهتضى
الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ
خلقه ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلى وانها خاصة طبيعية
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من
الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون
بشرع مفروض من عند الله ياتى به واحد من البشر يكون
متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم
له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار
ولا تريب وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما ترى (1) اذ
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه
الحاكم لنفسه او بالعصبية التى يقدر بها على قهرهم
وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر
اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول (2) والآثار

(1) Man. B. et C. تراه.

(2) Man. B. الدولة.

فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد فى الأقاليم المنحرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع البتة فانه ممتنع وبهذا يتبين لك غلطهم فى وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدرکه الشرع كما هو مذهب السلف من الامّة والله ولى التوفيق والهداية

المقدمة الثانية فى قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد تبين فى كتب الحكماء الناظرين فى احوال العالم ان شكل الارض كرى واتها محفوفة بعنصر الماء كاتها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرنها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان قيل فى شىء منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه وهذا (1) الذى انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من

(1) Man. A. هو.

سطح كرتها في شكل دائرة احاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود (ثم) ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والخللاء اكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعبور منه قطعة اميل الى جانب الشمال على شكل سطح كرتي ينتهي من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرتي وراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري التي بينها سدّ ياجوج وماجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة (1) او اقل والمعبور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط في كرتها كما ان منطقة البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بشاماية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع في ثلاثة

(1) Man. 1. الكرى.

اميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة يالحق بعضها الى بعض ظهراً لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى (ثم) ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها السبع الاقاليم بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عيرائه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج مند من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف ببدا في خليج

متضايق في عرض أنسى (1) عشر ميلا او نحوها ما بين
طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسخ الى
عرض ستهاية ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم
الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخا من مبداه وعليه
هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل
المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى
الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة
ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق
قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة
عامرة كبارها مثل اقريطس وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية
ودانية (1) قالوا ويخرج مند في جهة الشمال بحران اخران من
خليجين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدان هذا البحر متضايقا
في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة مجار فيتصل بالقسطنطينية
ثم ينفسخ في عرض اربعة اميال وبعده في جربه ستين ميلا
ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة
اميال فيمدّ بحر نيطس وهو بحر ينحرف من هنالك في
مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هريقلية وينتهي الى
بلاد الخزرية على الف وثلاثماية ميل من فوهته وعليه من
الجانبين اسم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

(1) Man. A. et C. اثنا

(1) Ce mot est omis dans le man. B

الثانى من خليج هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى شنت انجل الحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهى الى بلاد انكلابة على الف ومائة ميل من مبداه وعلى ضفتيه من البنادقة والروم وغيرهم اسم ويسمى خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يهر الى الجنوب قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبداه ويسمى البحر الصينى والهندي والحبشى وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها اسرو القيس فى شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليبس من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشى بحران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبداء متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال

ومغربا قليلا الى ان ينتهى الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الإقليم الثاني على الف واربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدّة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه وآخرة عند القلزم يسامت البحر الرومى عند العرش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الماوك في الاسلام وقبلد يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثاني من هذا البحر الحبشى ويسمى الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهى الى الابلّة من سواحل البصرة في الجزء السادس من الإقليم الثاني وعلى اربعماية فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلّة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين والبيامة والعمان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هي جزيرة العرب كأنها دخلّة (1) من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشى من الجنوب وبحر

القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق
 فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما
 وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وابوان كسرى والحيرة
 ووراء ذلك ارض الياقوت والخرزوم وغيرهم وفي
 جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد
 اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد
 اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي
 (قالوا) وفي هذا العمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار
 في ناحية الشمال وبارض الديلم يسمى بحر جرجان
 وطبرستان طوله الف ميل في عرض ستمائة ميل في غرب
 اذربيجان والديلم وفي شرق ارض الترك وحوارزم وفي
 جنوب طبرستان وفي شمالي ارض الخزر واللان هذه جهلة
 البحار المشهورة التي ذكرها اهل جغرافيا (قالوا) وفي هذا
 الجزء المعهور انهار كثيرة اعظيها اربعة انهار وهي النيل
 والفرات ودجلة ونهر باخ المسمى جيحون (فاما النيل)
 فمبدأؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشر درجة
 وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
 النير ولا يعلم في الارض جبل اعلا منه تخرج منه عيون كثيرة
 تصب بعضها في بحيرة هناك وبعض في اخرى ثم
 تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة

واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال وعلى سته ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربه يسمى كل واحد منها خاليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غريبه ويذهب الاخر منعطفا الى الغرب ثم يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو (1) نيل السودان واممهم كلهم على ضفتيه (واما الفرات) فمبدأه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم ومطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالرقّة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشي وتتجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة (واما دجلة) فمبدأها عيون ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق في حاجان تصب كلها في بحيرة البصرة وتفضى الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتتجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات

(1) Man A. اهل.

ودجلة من اوله (1) جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى
 الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتى دجلة (واما نهر
 جيحون) فهندوة من بلخ فى الجزء الثانى من الاقليم
 الثالث من عيون هناك كثيرة وتتجلب اليه انهار عظام
 ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج
 منها الى بلاد خوارزم فى الجزء الثامن من الاقليم الخامس
 فيصب فى بحيرة الجرجانية التى باسفل مدينتها وهى
 مسيرة شهر فى مثله واليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآنى
 من (2) بلاد الترك وعلى غربى نهر جيحون بلاد خراسان
 وخوارزم وعلى شرقه بلاد بخارا والترمذ وسهرقند ومن
 هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والنخلاجية واسم
 الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس فى كتابه والشريف
 فى كتاب رجار وصوروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور
 من الجبال والبحار والودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة
 لنا به لطوله وان عنايتنا فى الاكثر انما هى بالمغرب الذى
 هو وطن البربر وبالاطان التى للعرب من الشرق (3) والله
 واهب المعونة

(1) Le man. C. ajoute هى.

(2) Man. A. et B. فى.

(3) Man. D. التى فى المغرب والمشرق

تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك نحن نرى بالشاهدة والاحبار المتواترة ان الاول والثاني من الاقاليم المعمورة اقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منها وامم هذين الاقليمين واناسيتها ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيتها بحر زاخر من الكثرة وامصارهما ومدنهما تجاوز الحد عدداً والعمران فيهما متدرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرأس فلنوضح ذلك ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسادس فنقول ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة نقسم الفلك بنصفين هي اعظم الدوائر الهارة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى

المغرب حركة يومية يحرك بها ساير الافلاك التي في جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق وتختلف آماها باختلاف حركات الكواكب في السرعة والبطوء وممرات هذه الكواكب في افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة باثنى عشر برجاً وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مايل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مايل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت فاذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يتر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبداء الاقليم الاول من الاقليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالى يرتفع على آفاق هذا المعبر بالتدرج الى ان ينتهى ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهناك ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على

الافق تسعين درجة وهى التى بين القطب ودائرة معدل
النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل
النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهى
الشمالية وستة تحت الارض وهى الجنوبية والعمارة فيما
بين الاربعة والستين الى التسعين ممتنعة لان الحر والبرد
حينئذ لا يحصلان ممتزجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل
تكوين فاذن الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء فى
رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامطة الى رأس السرطان
والى رأس الجدى وتكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار
اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالى عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبى كذلك بمقدار متساو فى الثلاثة
وهو الهسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة
معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية
متدرجة فى مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج
الجنوبية عن الافق (1) كذلك الى رأس الجدى لانحرافها
الى الجانبين فى افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالى يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان
فى سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا

(1) Man. A. et B. لذلك.

وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الهيل الذي مال
 رأس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارتفاع
 القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من
 اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في انخفاض
 الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس
 عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن
 الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه
 غير ممتزج بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها
 تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما دون المسامطة
 على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم
 الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
 عند المسامطة وما قرب منها اكثر منه فيا بعد لان الضوء
 سبب الحر والتسخين ثم ان المسامطة في خط الاستواء تكون
 مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير
 بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان
 والجدي الآ وقد صعدت الى المسامطة فتبقى الاشعة
 القايمة الزوايا تاح على ذلك الافق وبطول مكثها
 او يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها
 وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيها بعد
 خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة ماسحة على

الافق في ذلك الافق بقريب من الحاحها في خط الاستواء وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال راس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامحة فيصير الحر الى الاعتدال او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرج الى ان يفراط البرد في شدته بقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر اسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجميد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله تعالى اعلم (ومن هنا) اخذ الحكماء خلافا خط الاستواء وما وراءه واورد (1) عليهم انه معهور بالشاهدة (2)

(1) Man. D. رد.

(2) Man. A. ajoute والخبر

والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يردوا امتناع العمران فيه بالكلية انما اذاهم البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوى بافراط الحرّ فالعمران فيه اما ممتنع او ممكن اقلّي وهو كذلك لانّ خط الاستواء والذى وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا وقد زعم ابن رشد ان خط الاستواء معتدل وان ما وراءه فى الجنوب فى مثابة ما وراءه فى الشمال فيعمر منه ما عهر من هذا والذى قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء فى الجنوب من جهة ان الغصر المائى عمر (1) وجه الارض هنالك الى الحد الذى كان مقابله من الجهة الشماليّة قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الهاء تبعه ما سواه لانّ العمران متدرج وباخذ فى التدرج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع واما القول بامتناعه فى خط الاستواء فيردّه النقل والله سبحانه اعلم (ولنرسم) بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب رجارثم ناخذ فى تفصيل الكلام عليها الى آخره

(1) Man. A. غير. Man. C. عم.

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجهل فالمفصل هو الكلام في بلدان هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحدا واحدا وسياتي في الفصل بعد هذا واما المجهل فالكلام في انقسام المعمور بالاقاليم السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذي تضمنه هذا الفصل فناخذ في بيانه وقد تقدم لنا ان الارض طافية على الماء العنصري كالغنية فانكشف كذلك بعضها بحكمة الله في العمران والتكوين العنصري فيقال ان هذا المنكشف هو النصف من سطح الارض فالمعمور منه ربعه والباقي خراب وقيل المهور سدسه فقط فالخلاء من هذا المنكشف في جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما متصل من الغرب الى الشرق وليس بينه وبين البحر من الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يبر من المغرب الى المشرق مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك على الافق هذا (1) اول العمران الى ما بعده من الشمال وقال بطليموس بل بعده في جهة الجنوب عمران وقدرة بعرض البلد كما ياتي وعند اسحق بن الحسن الخازني ان وراء الاقليم السابع عمران اخر وقدرة بعرض بلده كما نذكر وهو من اية

(1) Man. B هو.

هذه الصناعة (ثم) ان الحكماء قديما قسموا هذا المعهور في جهة الشمال بالاقليم السبعة بخطوط وهيئة آخذة من المغرب الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم كما ياتي تفصيله فالاقليم الاول منها ما ر مع خط الاستواء من جهة شماليه وليس في جنوبيه الا تلك العمارة التي اشار اليها بطليموس وبعدها القفار والرمال الى دايرة الماء الهسپاة بالبحر المحيط ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران في جهة الشمال وليس وراءه الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا لان الخلاء في جهة الجنوب اكثر منه في جهة الشمال بكثير (واما عروض) هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبي الفلك يكونان في خط الاستواء على الافق من غربه الى شرقه والشمس تسامت رؤس اهلها فاذا بعد العمران الى جهة الشمال ارتفع القطب الشمالي قليلا وانخفض الجنوبي مثله وبعدت الشمس عن دايرة معدل النهار الى سمته بمثل ذلك وصارت هذه الابعاد الثلاثة متساوية يسمي كل واحد منها عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت وقد اختلف الناس في مقدار هذه العروض ومقدارها في الاقاليم فالذي عند بطليموس ان عرض المعهور كله سبع وسبعون درجة ونصف فعرض المعهور خلف خط الاستواء الى الجنوب منها

أحدى عشر درجة وست وستون درجة ونصف هي عرض
الاقليم الشمالية الى آخرها فعرض الاقليم الاول منها عنده ست
عشر درجة والثاني عشرون والثالث سبع وعشرون والرابع
ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة والسادس ثلاث
واربعون والسابع ثمان واربعون (ثم) قدر الدرجة في الفلك
بستة وستين ميلا وثلاثي ميل من مسافة الارض فيكون
اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب والشمال الف ميل
وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الف ميل وثمانماية
ميل وثلاثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معها الف ميل
وسبعماية وتسعين والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين
والخامس الفين وخمسمائة وعشرين والسادس الفين وثمانماية
واربعين والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (ثم) ان ازمة
الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس
عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها
فيتفاوت قوس النهار او الليل لذلك وينتهي اطول الليل
والنهار في آخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براءس
الجدي وبراءس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس
الى اثنى عشرة ساعة ونصف وينتهيان في آخر الاقليم
الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي آخر الاقليم الثالث الى
ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي آخر الرابع الى اربع عشرة

ساعة وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ويبقى للاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد هذه الاعداد (1) من جملة اربعة وعشرين من الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تزيد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض المعموران الذي وراء خط الاستواء ست عشر درجة وخمسة وعشرون دقيقة واطول ليله ونهاره ثلاث عشر ساعة وعرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء وعرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف وعرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة وعرض الرابع ستة وثلاثون درجة وساعاته اربع عشر ساعة ونصف وعرض الخامس احدى واربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة وعرض السادس خمس واربعون درجة وساعاته خمس عشر ساعة ونصف وعرض السابع ثمان واربعون درجة ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء

(1) Man. C. et D. بعد الثلاثة عشر ونصف.

السابع من عند آخره الى ثلاث وستين درجة وساعاته الى
عشرين ساعة وعند غير اسحق الخازنى من ايمة هذا الشاءن
ان عرض الذى وراء خط الاستواء ست عشرة درجة وسبع
وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشر
دقيقة والثانى سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث
ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون
درجة ونصف درجة والخامس ثلاث واربعون درجة والسادس
سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون دقيقة وقيل فيه ست
واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احدى وخمسون
درجة وثلاث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع
وسبعون درجة وعند ابى جعفر الخازنى من ايمتهم ايضا ان
عرض الاقليم الاول من درجة الى عشرين وثلاث عشرة
دقيقة والثانى الى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة والثالث
الى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة والرابع الى ثمان
وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الى اثنين واربعين
وثمان وخمسين دقيقة والسادس الى سبع واربعين ودقيقتين
والسابع الى خمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرنى
من اختلافهم فى العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم
والله خلق كل شئ فقدّره تقديرا (فصل) والمتكلمون على
هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة فى

طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحر في كل جزء منها ونحاذي (1) بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشناق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي لهك صقلية من الافرنج وهو رجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج سلفه عن امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتب حمة للمسعودي وابن خردادبه والحقوقي والعدري واسحق النجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها

الاقليم الاول

وفيه من جهة غربيه الجزاير الخالدات التي منها بداء بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكثرة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفارين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض

(1) Man. A. نحزى B. نجازى

اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يلوحونها (1) الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن فى البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهايتها والى اين توصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذاة تحمل السفينة بها على قوانين فى ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفر فى البحر والبلاد التى حفا فى البحر الرومى وفى عدوتيه مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ما هى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهابت الرياح ومهرانها على اختلافها مرسوم معها فى تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص (2) وعليها يعتمدون فى اسفارهم وهذا كله مفقود فى البحر المحيط فلذلك لاتاجج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدى الى الرجوع

(1) Man. D. يرمونها.

(2) Man. A الكنباص.

اليها مع ما ينعقد في جوّ هذا البحر وعلى صفح مايد (1) من
الابخرة المياعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها (2) فلذلك
عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها (واما الجزء
الاول) من هذا الاقليم ففيه مصبّ النيل الآنى من مبدأيد
عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب
الى البحر المحيط فيصتّ فيه عند جزيرة اوليل (3) وعلى هذا
النيل مدينة سلمى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في ملكة اهل
مالي من اسم السودان والى بلاده يسافر تجار المغرب الاقصى
وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوايف الماشين
مفاوز يجولون فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال
لهم لملم وهم كفار ويكتبون في وجوههم واصداغهم واهل
غانة والتكرور يغيرون عليهم وبسبونهم ويبيعونهم للتجار
فيجلبونهم الى المغرب ومنهم عامّة رقيقهم وليس وراءهم فى
الجنوب عمران يعتبر الآ اناسى اقرب الى الحيوان العجم
من الناطق يسكنون الغياض والكهوف وياكلون العشب
والحبوب غير مهية (4) وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا فى
اعداد البشر وفواكد بلاد السودان كلها من قصور صحراء

(1) Man. B. سفح

(2) Man. C. فحلها.

(3) Man. C. اوليك

(4) Man. A. مهبات

المغرب مثل توات وتيكرارين وواركلان (1) وكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون بسنى صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفي شرقى هذه البلاد فى الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص فى رمال الجزء الثانى وكان ملك كوكو قايمًا بنفسه ثم اسنولى عليها سلطان مالى واصبحت فى ملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالى فى محلها من تاريخ البربر وفى جنوبى بلاد كوكو بلاد كانم من احم السودان وبعدهم ونكارة (2) على ضفة النيل من شماليه وفى شرقى بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي (3) وتاجرة المتصلة بارض النوبة فى الجزء الرابع من هذا الاقليم (وفيهما) يمر نيل مصر ذاهبا من مبدائه عند خط الاستواء الى البحر الرومى فى الشمالى ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا فى ضبط هذه اللفظة

(1) Man. A. مراركلان. B. فراركلان. (3) Man. C. زغانة, D. زغاوة

(2) Man. C. et D. ونقارة.

فبعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قمر السهاء لشدة
بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم
القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون يجتمع كل
خمسة منها في بحيرة وبينها ستة اميال وتخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة
واحدة في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمرّ الغربى منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصبّ في البحر المحيط ويخرج الشرقى
منه ذاهبا الى الشمال في بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما
وينقسم في اعلا ارض مصر فيصبت ثلاثة من جداوله في
البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصبّ واحد
في بحيرة ملاحية قبل ان يتصل بالبحر وفي وسط هذا
الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
في غربى هذا النيل وبعدها علوة (1) وبلاق (2) وبعدهما جبل
الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل
عالى من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل
ويصبّ في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه

(1) Man. A. et B. غلو.

(2) Man. A. et B. يلاق

المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان ثنتى عشر مرحلة والواحات فى غربيتها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة (وفى) وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتى من وراء خط الاستواء وبمر قبالة مقدشو التى فى جنوب البحر الهندى ذاهبا الى ارض النوبة فيصب هنالك فى النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم من هذا الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان فى الجزاير التى فى داخله وهى متعددة يقال تنتهى الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعهور فى الجنوب وفيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها فى هذا الاقليم الا طرف من بلاد الصين فى جهة المشرق وبلاد اليمن فى الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما

بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر
 في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز
 واليمامة وما يليهما كما نذكر في الاقليم الثاني وما بعده
 فاما الذي على ساحل هذا البحر غربيه فبلد زالع من
 اطراف الحبشة ومجالات البجة في شمالي الحبشة ما
 بين جبل العلاقى الذى فى اعلى الصعيد وبين بحر القانم
 الهابط من البحر الهندي الى ارض مصر وتحت بلد زالع
 من جهة الشمال فى هذا البحر خايج باب الهندب يضبق
 البحر الهابط هنالك بهزاحة جبل المندب الهائل (1) فى
 وسط البحر الهندي مهتداً مع ساحل اليمن الغربى من
 الجنوب الى الشمال فى طول اثنى عشر ميلا فيضيق البحر
 بسبب ذلك الى ان يصير فى عرض ثلاثة اميال او نحوها
 ويسمى باب الهندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
 السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن
 ودهلك وقبالته من غربيه مجالات البجة من اعم السودان
 كما ذكرنا ومن شرقيه تهايم اليمن على ساحله ومنها بلد
 حلى بن يعقوب وفى جهة الجنوب من بلد زالع وعلى
 ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضا
 وتنعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هنالك

(1) Man. B الهائل.

من جهة شرقها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة
مستبحرة العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل
البحر الهندي من جنوبيه ثم يليها شرقا بلاد سفالة (1) على
ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي
شرقي بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق
متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل
هذا البحر من البحر المحيط (واما) جزاير هذا البحر فكثيرة
ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل
المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي قبالة سفالة ثم
جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبتداء من قبالة ارض سفالة
وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب
من سواحل اعلى الصين وتحقق بها في هذا البحر من
جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرفها جزاير السيللا الى جزاير
اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب
والافاوية (2) وفيما يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها
على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزاير
من احوال العمران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة
الشمالية من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الاقليم
بلاد اليبين كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم

(1) Man. A. et B. سفالة.

(2) Man. A. B. C. الافاوة.

وتهامة اليهن وبعدها بلد صعدة مقرّ الايئة الزيدية وهى بعيدة
عن البحر الجنوبى وعن البحر الشرقى وفيما بعد ذلك
مدينة عدن وفى شمالها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض
الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما
بين البحر الجنوبى وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء
السادس هى التى انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم
الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه فى
العاشر فيه اعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو
وقبالتها من جهة المشرق جزاير السيلا وقد تقدم ذكرها وهذا
آخر الكلام فى الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه فى
البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التى مرّ
ذكرها فى الجزء الاول والثانى منه فى الجانب الاعلا منهما
ارض قنورية وبعدها فى جهة المشرق اعلى ارض غانة ثم
مجالات زغاي (1) من السودان وفى الجانب الاسفل منها
صحراء نيسرة (2) متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز

(1) Man. C. زغاوة.

(2) Man. C. نيسر.

يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان
وفيهما مجالات المثلثين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما
بين كدالة ولمتونة ومسوفة (1) ولمطة ووتربكة (2) وعلى
سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان (3) ثم مجالات ازكار
من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها
فى الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان
ثم قطعة من ارض التاجوين وفى اسافل هذا الجزء الثالث
وهى جهة الشمال منه بقية ودان (4) وعلى سمتها شرقا ارض
سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفى الجزء الرابع من
اعلاه بقية ارض التاجوين ثم تعترض فى وسط هذا الجزء
بلاد الصعيد حفافى النيل الذهب من مبدائه فى الافليم
لاول الى مصبه فى البحر فيمرّ فى هذا الجزء بين الجبلين
الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من
شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك
حفافيه الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك
شعبتين ينتهى الايسر منها فى هذا الجزء عند اللاهون
والايسر عند دلاص وفيها بينهما اعلى ديار مصر وفى الشرق
من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبة فى الجزء الخامس

(1) Man. A et B. مسوفة.

(3) Man. A. B. C. قران.

(2) Man. C. وزبكة.

(4) Man. A. السودان.

الى ان تنتهى الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله تعالى وفى ساحلها جدّة مقابل بلد عيذاب فى العدوّة الغربيّة من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتباله الى عكاظ من الشمال وتحت بلاد نجد بقية ارض الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما ارض اليمامة وعلى سمت نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مر ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيغمر ما بين شرقه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلّهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلا من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الأخرى فى السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلا كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران منه وتقابلها بلاد الطويران وهى من السند ايضا فيتصل السند كله فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين

أرض الهند ويمر فيه نهره الآنى من ناحية بلاد الهند ويصب
 فى البحر الهندى فى الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل
 البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا (1) وتحتها
 الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعلى
 بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا
 من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار فى
 الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندى وتحتها من
 الجانب الاسفل ارض كابل وبعدهما شرقا الى البحر المحيط
 بلاد القنوج وما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند
 آخر الاقليم وفى الجزء التاسع ثم فى الجانب الغربى منه
 بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقى فتتصل
 من اعلاه الى العاشر وتبقى فى اسفل ذلك الجانب
 قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون (2) ثم تتصل بلاد
 الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

(1) Man. A. بکهرا

(2) Man. A. خيفون.

الاقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر اسم لا يحصيهم الا خالقهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس ونول (1) وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل التاي والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر تناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه اسم المصامدة فسكسيوة (2) عند البحر المحيط ثم هتنانة (3) ثم تينملل (4) ثم كدميوة ثم هسكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل صناكة وهم صنهاجة ثم في آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك اسم اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة

(1) Lisez بون.

(2) Man. A. فسكسيوة.

(3) Man. C. هتنانة.

(4) Ibid. نينمال.

غربيه مظل على بلاد المغرب الاقصى وهى فى جوفيه ففى
 الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش واغامت وتادلا وعلى البحر
 المحيط منها رباط اسفى ومدينة سلا وفى الشرق عن بلاد
 مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هى التى
 نسمى المغرب الاقصى فى عرف اهلها وعلى ساحل البحر
 المحيط منها بلد ارضيلا والعرايش وفى سمت هذه البلاد
 شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفى سواحلها
 على البحر الرومى بلد هين ووهران والجزاير لان هذا البحر
 الرومى يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة فى
 الناحية الغربية من الجزء الرابع وبذهب مشرقا فينتهى الى
 بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد انفسح
 جنوبا وشمالا فدخل فى الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده نبتدى
 من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم
 تتصل ببلد الجزاير من شرقها بلد بجاية فى ساحل البحر
 ثم قسطنطينة (1) فى الشرق عنها وفى آخر الجزء الاول وعلى
 مرحلة من هذا البحر وفى جنوبى هذه البلاد مرتفعا الى
 جنوب المغرب الاوسط بلد شير بجبل تيطرى ثم بلد المسيلة
 ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن

(1) Man. A. قسطنطينة. Man. B. قسطنطينة. Man. C. فسطنطينة.

كما مرّ وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول يمرّ جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية عن جبل درن غربها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا ارض ودان التي بقيتها بالاقليم الثاني كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي فالغربي منها جبل اوراس وتبسة وكاريس وعلى ساحل هذا البحر بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر وقفصة ونفراوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وشلات وسُيْطَلَّة وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومي وبازايها بالجنوب جبال دمر ومقرة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابله غدامس التي نذكرها في آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشمرق سويقة (1) ابن شكود على البحر وفي جنوبها مجالات العرب في ارض ودان والجزء الثالث من هذا الاقليم يمرّ فيه ايضا جبل درن الا انه ينطفئ عند آخره

(1) مؤلفه A. Mau

الى الشمال فيذهب على سمتة الى ان يدخل فى البحر الرومى
ويسمى هناك طرف اوئان والبحر الرومى من شماليه غمر
طايفة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذى
وراء الجبل فى الجنوب وفى الغرب منه بقية ارض ودان
ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار
الى آخر الجزء فى الشرق وفيما بين الجبل والبحر فى
الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها
العرب ثم اجدابية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليمة (1)
على البحر هنالك ثم فى شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحة الى آخر الجزء وفى الجزء الرابع من هذا
الاقليم وفى الاعلا من غرب صحارى برنيق واسفل منها بلاد
هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومى فى هذا الجزء فيغمر طايفة
منه ذاهبا الى الجنوب حتى يراحم طرفه الاعلى ويبقى بينه
وبين آخر الجزء قفار يجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا
بلاد الفيوم وهى على مصب احدى الشعبين من النيل
الذى يمر على اللاهون من بلد الصعيد فى الجزء الرابع من
الاقليم الثالث فيصتب فى بحيرة الفيوم وعلى سمتة شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثانى الذى يمر
بدلاص عند بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثانى ويفترق هذا

(1) Man. C. et D. طلسمة.

الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطنوق (1) وزفتة وينقسم الايمن منهما من تروط (2) بشعبين آخرين ويصبّ جميعهما في البحر الرومي فعلى مصبّ الغربى من هذه الشعب بلاد اسكندرية وعلى مصبّ الوسط بلد رشيد وعلى مصبّ الشرقى بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفالجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك ان بحر القلزم ينتهى من الجنوب وفي المغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر الهندي الى الشمال ينعطف آخر الى جهة المغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة تنتهى في الطرف الغربى منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبل فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم الحورا في آخره ومن هناك ينعطف ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مرّ في الاقليم الثانى في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومى غمرت كثيرا من غربيه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربى هذا الباب فحص التيه ارض

(1) Man. A. et B. سطنوق.

(2) Lisez ترنوط.

جرداء لا تثبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طايفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المضائق لبحر السوبس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وعرقه وهنالك منتهى البحر الرومي في جهة الشرق على هذه القطعة اكثر السواحل الشامية (1) ففى شرق عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم عرقه ثم ينحط البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يتجاوز (2) هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين ارض مصر والشام ففى طرفه عند ايلة العقبة التى يمر عليها الحماح من مصر الى مكة ثم بعدها فى ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور

(1) Man. B et C. سواحل الشام.

(2) Man. A. et B. يجاوز.

من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا
 وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار نمود وتيما ودومة الجندل
 وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في
 جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم
 صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند جبل
 اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى ادريات
 وحوران وعلى سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء
 وهي آخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من
 آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت
 دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة
 الشمالية آخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن
 بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء
 وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد
 نجد واليهامة ما بين جبل العرج والضمان الى البحرين
 وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات
 بلد الحيرة والقادسية ومغايس الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة
 البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس منه عبادان والابلة
 في اسافل الجزء من شماله وبصت فيه عند عبادان نهر
 دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخر

من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصبّ في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه مضايقة لآخره في شقيه وضيقة عند منتهاه مضايقة للحدّ الشمالى منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر والاحساء وفى غربيتها الخطّ والضهان وبقية ارض الیهامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس فمن اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتدّ من هذا البحر مشرقا ووراء على الجنوب فى هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجیرم على ساحل هذا البحر وفى شرقه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودرا بجرّد وفسا (1) واصطخر والشاهجان وشيراز وهى قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خورستان ومنها الاهواز وتستر وجندى سابور والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان هى حدّ بين فارس وخورستان وفى شرقى بلاد خورستان جبل الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها فى ارض فارس وتسمى الزموم وفى الجزء السابع ثم فى اعلى منه من (2) الغرب بقية جبال القفص ويلبها من الجنوب

(1) Man. A. et B. نسا.

(2) Man. B. فى.

والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها السروذان (1) والشيرجان (2) وجيرفت وتردشير (3) والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن عرض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان في الجنوب وارض كوهستان في الشمال عنها وبتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخلاج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبل الغور وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومروالروود والظالقان والجوزجان وتنهي خراسان هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ وفي

(1) Man. B. السروذان

(3) Man. A. نردشير.

(2) Man. C. الشرحان

شرقيه مدينة الترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وخنان فى حدود بدخستان مما يلى الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخرة من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خربات (1) ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان وبذهب على سمته الى ان يصب فى بحيرة خوارزم فى الاقليم الخامس كما نذكر ويمدّه عند انعطافه فى وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الجبل والوخش من شرقيه وانهار اخر من جبال البتم من شرقه ايضا وجوفى الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدّة له نهر وخنشاب يخرج من بلاد التبت وهى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه فى طريقه جبل عظيم يهرّ فى وسط الجنوب فى هذا الجزء (2) وبذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيحوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الجبل وليس فيه الا مسلك واحد فى وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا

(1) Man. C. خرباب.

(2) Man B. النهر.

وبنى له بابا كسدّ ياجوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فنفذ تحته فى مدى بعيد الى ان يمرّ ببلاد الونخش ويصبّ فى نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمرّ هابطا الى الترمذ فى الشمال الى بلاد الجوزجان وفى الشرق من بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفى العدوّة الشرقية هنالك من النهر بلاد الجبل واكثرها جبال وبلاد الونخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربى نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذى خلفه بلاد التبت ويمرّ تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمرّ نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصبّ فيه منها نهر بلاد الونخش يصبّ فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر باخا يخرج من جبال البتم من مبدائه عند الجوزجان ويصبّ فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلد امل من خراسان وفى شرقى النهر من هنالك ارض الصغد واشروسنة من بلاد الترك وفى شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شماليها وفى الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفى جنوبيها بلاد الهند وفى

شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلخية (1) من الترك الى آخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض البغرغر من الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بقية بلاد البغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير (2) من الترك ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثير فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه وهذه البلاد في الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبل كلها مجالات للترك امم لا تحصى وهم طواعن رحالة اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنناج والركوب والاكل وطوايفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلى بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الداينين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

(1) خرخير (2) الخزلخية, C الخزلخية, Man. B et D

الأقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الأول منه في غربيه
 قطعة من البحر المحيط مستطيلة من اولد جنوبا الى آخره
 شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه
 القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومى في
 خليج متضايق بمقدار انى عشر ميلا بين طريف والجزيرة
 الخضراء شمالا وقصر المجاز وسبتة جنوبا وبذهب مشرقا
 الى ان ينتهى الى وسط الجزء الخامس من هذا الأقليم
 وينفسح في ذهابه بتدرج الى ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر
 الخامس ويغمر عن جانبه طرفا من الأقليم الثالث والخامس
 كما نذكره ويسهى هذا البحر البحر الشامى ايضا وفيه جزاير كثيرة
 واعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ميورقة ثم منرقة ثم سردانية
 ثم صقلية وهى اعظمها ثم بليونس ثم اقريطش ثم قبرص كما
 نذكرها كلها في اجزائها التى وقعت فيها ويخرج من هذا
 البحر الرومى عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث
 من الأقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال
 ثم ينطف عند وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا الى ان
 ينتهى فى الجزء الثانى من الخامس ويخرج منه ايضا فى
 آخر الجزء الرابع شرقا من الأقليم الخامس خليج القسطنطينية
 يمر فى الشمال متضايقا فى عرض رمية السهم الى آخر الأقليم

ثم يفضى الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش (1) ذاهبا الى الشرق فى الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك فى اماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث ويبقى فى الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها ستة على البحر الرومى ثم تيطاوين ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة فى هذا الجزء فى شماله وشمالي الخايج منه وهى كلها بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومى اولها طريف عند مجمع البحرين وفى الشرق عنها على ساحل البحر الرومى الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم الهنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه شريش ولبلة وقبالها فيه جزيرة قادس وفى الشرق عن شريش ولبلة اشبيلية ثم اسجة وقرطبة ومرتكة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شنتمرية وشاب على البحر المحيط غربا وفى الشرق عنها بطلبوس وماردة وبابرة ثم غافق وترجاله ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر تاجة

(1) بنطش Lisez (1).

وفى الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ثم
قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل
الشارات يبدأ من الغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر
الجزء من شماليه فينتهى الى مدينة سالم فيما بعد النصف
منه وتحت هذا الجبل طلبيرة فى الشرق عن قورية ثم طليطلة
ثم وادى الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما
بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غرب الاندلس واما شرق
الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى منها من بعد المرسة
قرطاجنة ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة آخر الجزء
فى الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة (1) يتاخمان بسطة
وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة
تحت بلنسية شرقا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة آخر
الجزء ثم تحت هذه شمالا ايضا جنجالة ووبذة متاخمتان
لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة
وشمالا عنها ثم فى الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم
سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثانى من
هذا الاقليم عمر الماء جميعه الآقطة من غربيّه فى الشمال
فيها بقيّة جبل البرنات معناه جبل الشايا والمسالك يخرج
اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدأ من

(1) Man. A. et B شعورة

الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويتر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثاني فتقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها الى البر المتصل وبسهي ارض غشكونية وفيه مدينة جرندة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذي يمر الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرهما ففي غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار ويقال ان في دورها سبعماية ميل وبها مدن كثيرة من مشاهرها سرقوسة وبارم وطرابنة ومازر ومسينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرتا غودش (1) ومالطة والجزء الثالث من هذا الجزء مغفور ايضا بالبحر الا نالت قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغفور ايضا بالبحر كما مر وجزايره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغفور منها جزيرة بلبونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم

(1) Man. A. et B. جزيرة تانغودش. Man. D. جزيرة غودش.

غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي
الضلع الغربي منها الى آخر الجزء في الشمال وينتهي
الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في
الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث يمر الشمالي
منها الى الغرب منعطفًا مع البحر كما قلناه وفي النصف
الجنوبي منها اسافل الشام و يمر في وسطها جبل اللكام
الى ان ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من
هناك ذاهبا الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد
انعطافه جبل السلسلة ومن هناك يخرج الى الاقليم
الخامس ويحوز عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة
الشرق وتقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصل
بعضها ببعض الى ان تنتهي الى طرف خارج من
البحر الرومي متاخم الى آخر الجزء من الشمالي وبين هذه
الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضي الى بلاد
الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التي قدمنا ان فيها
اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر
الرومي وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل
البحر منه بلد انطرسوس في اول الجزء من الجنوب
متاخمة لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي

شمال انطرسوس جبلة ثم اللادقية ثم اسكندرية ثم سلوقية
وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
وآخر الجزء فحفافيه من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا
حصن الخوابى من غربيه وهو للحشيشية الاسماعيليه
ويعرفون لهذا العهد بالفداوية وبسمى الحصن مصيات وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل
بلد سلبية فى الشمال عن حدص وفى الشمال عن مصيات
بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها فى شرق الجبل
المعرة وفى شرقها المراغة وفى شمال انطاكية المصيصة ثم
اذنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل
قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل
حلب ويقابل عين زربة منبع آخر الشام واما الدروب فعن
يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد الروم التى هى
لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاكية (1) والعلايا واما بلاد الارمن التى
بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملاطية
وانقرة الى آخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس فى
بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان فى شرقيه فيمرّ نهر
جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمرّ بطرسوس ثم

(1) Telle est la leçon des manuscrits ; mais il faut lire : انطاليد.

بالمصيصة ثم ينطفئ هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب
 في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمرّ نهر سيحان موازيا
 لنهر جيحان فيحاذى انقرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب
 الى ارض الشام ثم يمرّ بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان
 ثم ينطفئ الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند
 المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التي يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد
 الرافقة والرقّة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم
 شبيسط وآمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله
 وهو ايضا آخر الجزء من شرقه ويمرّ في وسط هذه القطعة نهر
 الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمرّان
 في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمرّ
 نهر الفرات في غربى شبيسط وسروج ثم ينحرف الى
 الشرق فيمرّ بغرب الرافقة والرقّة ويخرج الى الجزء السادس
 ويمرّ دجلة في شرق آمد وينعطفن قريبا الى الشرق
 فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من
 هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق عنها بلاد
 العراق متصلة بها تنتهى في الشرق الى قرب آخر الجزء
 ويعترض آخر العراق هناك جبل اعبيهان هابطا من جنوب
 الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من

آخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة في الجزء الخامس فيقطع في الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس في شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض الجزيرة وبغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا وتبقى صفيين في غربه ثم ينطف شرقا وينقسم بشعوب فتمر بعضها بالكوفة وبعض بقصر ابن هبيرة وبالجامعين ويخرج جميعها في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرفا على سمته الى هيت من شمالها ثم الى الزاب ولانبار من جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرفا على سمته ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمته فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهي الى الحديثة فينطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير

والصغير كذلك ويمر على سمنه جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتكثر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعهما ببغداد هي بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة والفرات بعد مفارقة بغداد نهر اخريانى من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهي الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبداء من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور فيقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفي وسطها بلد نهاوند (1) وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانيه طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق

(1) Man. A. et B. الباهوس

يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير
الذى على دجلة من ورايه فى آخر هذه القطعة من جهة
الشرق بلاد اذربايجان ومنها تبريز والبيلقان وفى الزاوية
الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطش وهو
بحر الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربيه
وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوين وبقيتها
فى الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من
الجنوب جبل يخرج من غربيه ويمر بالاقليم الثالث ثم
ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل
العراق فى شرقه الذى مر ذكره هنالك وانه محيط ببلاد
البهلوس فى القطعة الشرقية وبهبط هذا الجبل المحيط
باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى
هذا الجزء السابع فمحيط ببلاد البهلوس من شرقيه وتحمده
هنالك قاشان ثم قم ويعطف فى قرب النصف من
طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا
ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس
ويشتمل عند منعطفه واستدارته على باد الرى فى شرقيه
وبدء من منعطف اخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه
هنالك قزوين ومن جانبه الشمالى وجانب جبل الرى
المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم

الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال
وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل في الاقليم الخامس
في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض
عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر
على سمتة مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل
في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الرى وهذا
الجبل من عند مبدئها بلاد جرجان فيما بين الجبلين
ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية
المفازة التي بين فارس وخراسان وهي شرقى قاشان وفي
آخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحفافي هذا الجبل من
شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففي
جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان
آخر الجزء وفي شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون
وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال
عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال
والشرق مفاوز معطلة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في
غربه نهر حيجون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففي
عدوه الغربية زم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية
من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل
استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج من هذا

الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة وبمرّ الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرق نهر جيحون من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اشروسنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واشروسنة ارض يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش يمرّ الى آخر الجزء شرقا وناخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمرّ معترضا في الجزء الثامن الى ان يصبّ في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت وتختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون يبداء من الاقليم الخامس وينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطة بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض

بخارا وخوازم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلاد اسيجاب وطرار (1) وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد فرغانة والشاش ارض الخرخية في الجنوب وارض النخاخلية في (2) الشمال وفي شرق الجزء كله الى آخره ارض الكيماكية وتتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوفايا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الاسم كلها شعوب الترك

الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغمور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه قطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بتيّة ارض الاندلس منت ميور (3) على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وشلمنكة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن شلمنكة ابلة آخر الجنوب وارض

(1) Les man. A B C. طرار.

(2) Man C. et D. الخاخية

(3) Man A. مينة منور. B. مينة منور.

قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض
ليون وبرغشت (1) ثم وراها في الشمال ارض جليقية الى
زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع
الغربي بلد شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق
الاندلس مدينة تطيلة (2) عند آخر الجزء في الجنوب وشرقا
عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها
شرقا وشمالا وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم تاجرة فيما بينها
وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذيا
للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر من عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا
من قبل انه يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم
الرابع ويصير حجرا على الاندلس من جهة الشرق وثناياه
ابواب لها تفضى الى بلاد غشكونية من اعم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونة واريونة على ساحل البحر الرومي
وجرندة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوشة شمالا عن جرندة واما المنكشفي في هذا
الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل
زاويته الحادة وراء البرتات شرقا وفيها على البحر المحيط

(1) Man. A. برغشت. B. برغشتت. (2) Man. A. et B. تطلية.

على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد بيونة
وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
ارض بيطو من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في
الناحية الغربية منه ارض غشكونية وفي شمالها ارض بيطو
وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية قطعة من
البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مايلا الى
الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخلية في
جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى
سمتها في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سمتة
ارض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة للخارج من البحر
الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظيمة
كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابة بتركهم الاعظم وفيها من
المباني الضخمة والهيكل المهيولة والكنائس العادية ما هو
معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من
المشرق الى المغرب سفروش قاعد ببلاط النحاس وفيها
كنيسة بطرس وبولس من الحوارتين وهما مدفونان بها وفي
الشمال عن بلاد رومة بلاد انبرضية الى آخر الجزء وعلى هذا
الطرف من البحر الذى فى جونه (1) رومة بلد نابل فى

(1) Man. B جونه

الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج
وفى شمالها طرف من خليج البنادقة دخل فى هذا الجزء
من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء
وانتهى فى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة
من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد
انكلية فى الاقليم السادس وفى الجزء الثالث من هذا
الاقليم فى غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر
الرومى يدخل جانب من ترها فى الاقليم الرابع فى البحر
الرومى فى جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت
الشمال الى هذا الجزء وفى شرق بلاد قلورية بلاد انكبدة
فى جون بين خليج البنادقة والبحر الرومى ويدخل طرف
هذا الجون فى الاقليم الرابع وفى البحر الرومى ويحيط به
من شرفه خليج البنادقة من البحر الرومى ذاهبا الى سمت
الشمال ثم يعطف الى المغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالى
ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه وبذهب
معه فى الشمال ثم يغرب معه فى الاقليم السادس الى ان
ينتهى قبالة الخليج فى شماله فى بلاد انكلية من امم
اللمانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا
الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى
المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد اللمانيين عند طرف

الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضروسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منهما طرف في البر في الجون بينها وفي آخر الجزء شرقاً خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي وبذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقاً الى بحر نيطنس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والاضخامة ما كثرت عند الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء فيها بلاد مغدونية التي كانت لليونانيين (1) ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطتها لهذا العهد مجالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا (2) وكانت من قبلهم للروم وغلبتهم عليها الامم الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد

(1) Man. A. et B. لليونانيين. C. اليونان. (2) Man. A. et B. برصة.

عمورية وفي شرق عمورية نهر قباقب الذى يمد الفرات
 يخرج من جبل هنالك ويذهب فى الجنوب حتى
 يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره فى
 الاقليم الرابع وهناك فى غربيد آخر الجزء مبداء نهر
 سيحان ثم نهر جيجان غربيه الذاهبين على سمته وقد مر
 ذكرهما وفى شرقه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب على
 سمته وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاوية
 التى بين الجنوب والشرق عن هذا الجزء وراء الجبل
 الذى يبداء منه نهر دجلة بلد ميفارقين ونهر قباقب الذى
 ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها
 ارض باطوس كما قلناه واسفلها الى آخر الجزء شهالا ووراء
 الجبل الذى يبداء منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
 والقطعة الثانية شالية شرقية جنوبية على الثلث فى الجنوب
 منها مبداء الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة
 بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهى عرضة وفى آخرها
 عند مبداء الفرات بلد حرشنة (1) وفى الزاوية الشرقية
 الشمالية قطعة من بحر نيطش الذى يمدّه خليج القسطنطينية
 وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربه بلاد
 ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق

(1) Man. A. حرشنة. B. حرشنة.

وفيهما بلد ارزون في الجنوب والمغرب وفي شمالها تغلبس ودبيل وفي شرقي ارزون مدينة خلط ثم برذعة وفي جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد الهراغة في شرقي جبل (1) الاكراد المسهي بارما وقد مر ذكره في الجزء السادس منه وبتاخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة المشرق فيها بلاد اذربيجان وآخرها في هذا الجزء شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع وبسهي بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان وبتداء من عند هذه القطيعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس وتترفيد منعطفة ومحيطة ببلاد ميافارقيين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في اسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالبواب نفصى من الجانبين ففي جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها

(1) Man. A. et B. جبلها.

ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السربر وفي الزاوية الغربية الشمالية منها وهي زاوية الجزء كله قطيعة ايضا من بحر نيطش الذي يمتد خاليج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحقق بهذه القطعة من نيطش بلاد السربر وعليها منها بلاد طرابزنده وتتصل بلاد السربر بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهي شرفا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربي كلد مغموور ببحر طبرستان وخرج من جنوبيه في الاقليم الرابع القطيعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبل الدبلم الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطيعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه انفا وتنكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصب فيها نهر ائل في هذا البحر وتبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات

للغز من امم الترتك ويقال لهم الخزر كانه عرب وصارت
خاوه غينا وشددت الزاي ويحيط بهذه القطعة جبل من
جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب
الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحسر
طبرستان فيحتق به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس
ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه وبسمى هنالك جبل شياه
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم
يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا
الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض
السرير وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء
السادس والسابع حفافي هذا الجبل المسمى جبل شياه
كما يانى والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله
مجالات للغز من امم الترتك وفي الجهة الجنوبية الغربية
منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها
تلتماية ميل ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه
المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غرغون
دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا
الجزء جبل مرغار (1) ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه
وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة غرغون

(1) Man. B. مرغان.

جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيا يسمى غرغون وبه
 سميت البحيرة وتتجلب منه ومن جبل مرغار شمال
 البحيرة انهار لا ينحصر عددها فتصبّ فيها من الجانبين
 وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم
 الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحقه من
 جهة الشرق آخر الجزء جبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج
 يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حين
 يعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من
 آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتق هنالك
 بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا
 في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط
 من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر
 من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في
 جنوبه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى الغرب فيها آخر
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي
 الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب الى سمته الى
 الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
 نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوفايا عند
 الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب
 وهي من بلاد ياجوج وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا

الأقليم ارض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوفايا حين مر فيه وما سوى ذلك فكله ارض ياجوج وماجوج

الأقليم السادس

فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من الارض في هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولا وعرضا وهي كلها ارض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء بلاد صابس (1) متصلة بارض بيطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الأقليم الخامس وشماله والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر المحيط من غربه فبين غربه في قطعة مستطيلة اكثر من النصف الشمالي من شرق ارض برطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة

(1) Man. A. et B. ضاليس.

انكلطرة وهى جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخيم وبقيتها فى الاقليم السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء بلاد برمندية وبلاد افلادنش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لامم الافرنجة وبلاد اللمانيين فى النصف الشرقى من هذا الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهرنكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيط فى الزاوية الشمالية الشرقية ارض افرنده وكلها لامم اللمانيين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى الناحية الغربية بلاد يوانية (1) فى الجنوب وبلاد شصونية فى الشمال وفى الناحية الشرقية بلاد انكرية فى الجنوب وبلاد بلونية فى الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا فى الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شصونية آخر النصف الغربى وفى الجزء الرابع فى ناحية الجنوب ارض جشولية وتحتها فى الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف الشرقى وفى شرق ارض جشولية بلاد جرمانية وفى الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخاليج الخارج من البحر

(1) نوابية. Man. C.

الرومي وعند مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في اعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء يمتدّها الخليج وبينهما في الزاوية بلد مسناة وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية منه بحر نيطش يتصل من الخليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمرّ في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول الف وثلاثماية ميل من مبدائه في عرض ستماية ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل نيطش متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية (1) وقاعدتها سنوبلى (2) على بحر نيطش وفي شمالي بحر نيطش في هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان من شرقها في هذا الجزء ومن شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطش وينحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفي جنوبه ومنفسحا الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية اللانية التي كانت آخر

(1) Man. A. et B. لانية

(2) Man. C. سوبلى

جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الجنوبية ارض بلنجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كوية (1) المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارفته مغربا فيحوز (2) هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارفته بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض بسجرت (3) وبجناك من امم الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولنج (4) من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبداء نهر ائل من اعظم انهار العالم وممره

(1) Man. A. نياكوند

(3) Man A et B حرق

(2) Man A. B. et D. يحوز

(4) Lisez الحولنج

في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس
وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من
جبل في الارض المنتنه من ثلاثة ينابيع تجمع في نهر
واحد ويمر على سمت المغرب الى آخر السابع من هذا
الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع
فيمر على طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء
السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف
نانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس
ويخرج منه جداول تذهب مغربا وتنصب في بحر نيطنش
في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في
بلاد بلغار (1) فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس
ثم ينعطف نالته الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمر
في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع
منه فصب هناك في بحر طبرستان في القطعة التي
انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي
الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد
خفشاح من الترك وهم قفجق وبلاد التركش (2) منهم ايضا
جبل قوفايا وفي الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل
قوفايا المحيط وقد مر ذكره يبداء من البحر المحيط في

(1) Man. A. et B. برغار.

(2) Man. B. et C. التركش.

شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم فى الشمال
ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل فى الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاول فى
الشمال حتى يدخل فى هذا الجزء التاسع من جنوبه الى
شمال وبانحراف الى المغرب وفى وسطه هنا السد الذى
بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة فى الاقليم السابع وفى
الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلقي البحر
المحيط فى شماله ثم يعطف معه من هنالك مغربا فى
الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك
بقطعة من البحر المحيط فى غربيه وفى وسط هذا الجزء
التاسع هو السد الذى بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من
خبره فى القران وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه فى كتابه
فى الجغرافيا ان الواثق رأى فى منامه كان السد انفتح
فانتبه فزعا وبعث سلامة الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره
ووصفه فى حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفى
الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى
آخرة على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من
شرقه وشماله مستطيلة فى الشمال وعريضة بعض الشئ فى
الشرق انتهى

الأقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عاتته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطى بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الأقليم السادس وهي مذكورة هنالك والهجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذا الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلاندة مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الأقليم مغمور اكثره بالبحر لا قطعة مسطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونيه التي مر ذكرها في الثالث من الأقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة ويتصل في البر من باب في جنوبها يفضى الى بلاد فلونية (1) وفي شمالها جزيرة برقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الأقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط

(1) Man. A. فلوانية. B. فلونية

من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربه ارض
فيمازك من الترك وفي شرقها بلاد طبست ثم ارض
رسلاندة الى آخر الجزء شرقا وهي دايمة الثلوج وعمرانها
قليل وتتصل ببلاد روسية في الاقليم السادس وفي الجزء
الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم
في الناحية الغربية بلاد الروسية وتنتهي في الشمال الى
قطعة البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوفايا كما ذكرناه
من قبل وفي الناحية الشرقية منه يتصل ارض القمانية على
قطعة بحر نيطنش في الجزء السادس من الاقليم السادس
وينتهي الى بحيرة طرمى (1) من هذا الجزء وهي عذبة ويتجلب
اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي
شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض البنارية من
الترك الى آخره وفي الجزء السادس في الناحية الغربية
الجنوبية متصل بلاد القمانية وفي وسط الناحية بحيرة
عيون (2) عذبة يتجلب اليها انهار من الجبال في النواحي
الشرقية وهي جامدة دايمًا لشدة البرد الا قليلا في زمن
المصيف وفي شرقي بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان
مبداها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من
الجزء الخامس منه وفي الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا

(1) Man. B. طرفى

(2) Man. C. عون.

الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبداءها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر ائل العطفة الاولى الى الجنوب كما مرّ وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوفايا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجنات من اسم الترك وكان مبداءها في الناحية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض بسحرت (1) ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء مشرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوفايا المحيط متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة في شرقها الارض المحفورة وهي من العجايب خرق عظيم في الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانته بالدخان في النهار واليران في الليل بضئ وتخفى وربما رى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب الهياخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوفايا متصل من

بسجرت Lisez. سحري D سحرت B. سحرت A. Man (1)

الغرب الى الشرق وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الجانب الغربى منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يحوزها جبل
قوفايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في
الجزء التاسع من الاقليم السادس وبمرّ معترضاً فيه وفي
وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي
الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج ورآء جبل قوفايا
على البحر قابلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمرة البحر جميعه هذا آخر الكلام على
الجغرافيا واقليمها السبعة وفي خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

المقدّمة الثالثة في المعتدل من الاقليم والمحرف ونائير
الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو
وسطه الى الجانب الشمالى لافراط الحر في الجنوب منه
والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادّين في البرد والحرّ وجب ان تتدرج الكيفيّة من
كليهما الى الوسط فيكون معتدلاً فالاقليم الرابع اعدل العمران

والذى حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنایع والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واقوانهم وصنایعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة (1) المنمقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة الآلات والمواعين يذهبون فى ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير وبتصرفون فى معاملاتهم بالنقدین العزیزين ويبعدون عن الانحراف فى عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقین والسند والصبين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الافرنجة والجلالقة ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاعلمها ابعد من الاعتدال فى جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب واقواتهم من الدرة والعشب

(1) Man. D. المسحذة من الحجارة

وملابسهم من اوراق الشجر يخصصونها عليهم او الجلود واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مايلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير النقيدين الشريفين من نحاس او حديد او جلود يتدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون في الكهوف والغياض وباكلون العشب وانهم متوحشون غير مسنانيين وانهم ياكلون بعضهم بعضا وكذلك الصقالبه والسبب في ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم (1) من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذا احوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نسبة ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الداينين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الداينين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا بد بالماية السابعة ومثل من دان بالنصرانية من امم الصقالبه والافرنجة والسرک في الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم

(1) Man. C. احوالهم.

وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال
 البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود
 اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليامة وما اليها
 من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة
 العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما
 ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من
 اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحر وصار فيها بعض
 اعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم
 لديهم بطبايع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح
 اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها فى لوند
 وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ولده حام
 قد وقع فى التورية وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان
 يكون ولده عبيد لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام
 غفلة عن طبيعة الحر والبرد واترها فى الهواء وفيما يتكسون
 فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
 والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان
 الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما
 من الاخرى فتطول المسامنة عامة الفصول ويكثر الضوء
 لاجلها وباج القيظ الشديد عليهم فتسود جلودهم لانحراف
 الحر ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلها من الشمال الاقليم

السابع والسادس شمل سكانها ايضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في دائرة مرائى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الدان اهلها وتنتهى الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينها الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها فى الاعتدال الذى هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابغها فى الاعتدال غاية للنهاية فى التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال فى خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج اهوتهم وتبعه من جانبه الخامس والثالث وان لم يبلغا نهاية التوسط لئلا هذا قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك فى خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسواد والسادس والسابع للبرد والبياض وسمى سكان الجنوب من الاقاليم الاول والثانى باسم الحبشة والزنج والسودان اسما مترادفة على الامة المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بين نجاه مكة واليهن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود

لاحام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيح الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالرئح حر غير الاحسادا حتى كسى جلودها سوادا
والصفاب (1) اكنست البياضا حتى غدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في السمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اما منفرة واجيالا متعددة مسمين باسما متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة من اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد (2) لديهم من المعاش والمساكن والصنابع والعلوم والرياسات والهك فكانت فيهم النبوات والملل (3) والدول

(1) Man. C. et D. اكنست. Man. D. ابياضا.

(2) Man. C. et D. للاعتماد.

(3) Man. A et B. الملك

والشرايع والعلوم والبلدان والامصار واليهانى والغراسة والصنایع
الفايقة وسایر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم الذين وفنا
على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل
واليونانيين واهل السند والصين ولما راي النسابون اختلاف
هذه الامم بسماتها وشعايرها حسبوا ذلك لاجل الانساب
فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا
فى الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل
الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة
وهم اهل الوسط (1) المنتحلون للعلوم والصنایع والملل والشرايع
والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف
الحق فى انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما
هو اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما اذاهم
الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع
بالانساب (2) فقط وليس كذلك فان التمييز للجيل او
للآمة يكون بالنسب فى بعضهم كما للعرب وبنى اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشان
والصقالبة والسودان ويكون بالعوايد والشعاير مع النسب كما
للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم

(1) Man. A. واسط.

(2) Man. A. et B بالانساب

فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

القدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر

قد راينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانى وتفشيته وطبيعية الحزن بالعكس وهي انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار مخالطة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية من التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتجيئ طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة

الهواء بارواحهم فتسخت لذلك حدث لهم فرح وربما
انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي
اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة
ابدانهم واقليمهم فنكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل
الاقليم الرابع اشد حرارة (1) فتكون اكثر تفشيا فتكون
اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويحى الطيش على اثر هذه
وكذلك يالحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية (2) لما كان
هواها منضاعف الحرارة بما يعكس عليه من اضواء بسيط
البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد
نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجربدية من الاقليم
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوايها لانها عريقة في
الجنوب من الارياف والتلول واعتبر ذلك باهل مصر
فانها في مثل عرض البلاد الجربدية وقريبا منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم
لا يذخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم من
اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق

(1) Man. C. et D. حرًا.

(2) Man. A. et B. المنحرفة.

الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم
ليذخر اقوات سنين من حبوب الحنطة وبيباكر الاسواق لشراء
قوته ليومه مخافة ان يرزأ شياء من مدخره وتتبع ذلك
في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا من كفيات
الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودى للبحث عن
السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول
تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
ويعقوب بن اسحق الكندى ان ذلك لضعف ادمغتهم
وما نشاء عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له
ولا برهان فيه والله يهدى من يشاء

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب
والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر
واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد له الخصب
ولا كل سكانها (1) في رغد من العيش بل فيها ما يوجد
لاهلها خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه
لزكاء المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض

(1) ساكنها. Man. A. et B.

الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل الملمثيين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هولاء يفقدون الحبوب والادم جهلة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب الجايلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في الاحايين وتحت رقبة من حاميتها وعلى الاقلال لقلّة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى سدّ الخلة ودونها فضلاً عن الرغد والنصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض ونجد مع ذلك هولاء الفاقيدين الحبوب والادم من اهل القفار احسن حالاً في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم انقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملمثيين واهل التلول يعرف ذلك من خبرة والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديّة ينشأ عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة

ويتبع ذلك انكشاف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة فتجئى البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والهمى والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعى الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضاها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر والبون بينهما ما رايت وما ذلك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانا نجد اهل الاقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المنقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هولاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذلك اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في

الادم والبر مع الاندلس الهفقود بارضهم السمن جملة وغالب
عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقل وحنفة
الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الضواحي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل
الامصار وان كانوا اكثرين مثلهم من ادم ومخصبين في
العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيْف (1)
بما يخلطون معها فيذهب لذلك غاظها ويرق قوامها وعامة
ماكلهم لحمان الضائن والدجاج ولا يغطون السمن من بين
الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخفق
ما توديه لاجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسوم
اهل الامصار الطف من جسوم اهل البادية المخشنيين في
العيش وكذلك نجد المتعودين للجوع من اهل البادية
فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة واعلم ان
ان هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة من يأخذ نفسه
بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة
من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في
المدن والامصار لها بعها من القساوة والغفلة المتصلة
بالاكثار من اللحمان والادم ولباب البر ويختص وجود

(1) Man. C. التلطف.

العباد والزهاد لذلك بالمتشقين في غذائهم من اهل
البوادي وكذلك نجد حال المدينة الواحدة في ذلك
يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك
نجد هؤلاء المخصبين العيش المنغيسين في طيبانه لا من
اهل البادية ولا من اهل الحاضرة والامصار اذا نزلت بهم
السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما
يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد
النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس
الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم
السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
ولا بكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في
ذلك والله اعلم ان المنغيسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم رطوبة فوق رطوبتها
الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها فاذا خولف بها العادة
بقلة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف
من الغذاء اسرع الى المعاء اليبس والانكماش وهو عضو
ضعيف في الغاية ولهذا عدّ في المقاتل فيسرع اليه المرض
ويهلك صاحبه بسرعة فالحالكون في المجاعات انما قتلهم

الشبع المعتاد السابق لا الجوع اللاحق واما المتعودون للعيمة ونركت الادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة وهى صالحة على جميع الاغذية الطبيعية فلا يقع فى معاهم بتبدل الاغذية يبس ولا انحراف فيسلهون فى الغالب من الهلاك الذى يعرض لغيرهم بالنخصب وكثرة الادم فى الهاكل واصل هذا كله ان نعلم ان الاغذية وايلافها او نركبها انما هو بالعادة فهن عود نفسد غذاء ولايه تناوله كان له مألوفاً وصار الخروج عند والتبدل به داء ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجملة كالسيوم واليتوع وما افراط فى الانحراف فاما ما وجد فيه التغذى والهلاية فيصير غذاء مألوفاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الحنطة والحبوب حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسمع عنهم فى ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب فى ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئاً صار من خلقها وجبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الأطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه

لا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكافية فحينئذ ينحسم (١) المعا ويناله المرض الذى يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمنزل عن الهلاك وهذا التدريج ضرورى حتى فى الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدئ فى الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا فى دولة السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حسبتا انفسهما عن الاكل جملة من سنين (٢) وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان مانتا وراينا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم نديها فى بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غداوة واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولانستكرن ذلك واعلم ان الجوع اصاح للبدن من اكثر الاغذية بكل وجد لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرا فى الاجسام والعقول فى صفائها (٣) وصلاحها كما قلنا واعتبر ذلك بانار الاغذية التى تحصل عنها فى الجسم فقد

صقنا (3) Man. A et B سنين (2) Man. A et B بنحسم (1) Man. C. et D.

راينا المغتذيين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجسمان
 ننشأ اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل
 الحاضرة وكذا المغتذون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما
 يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتفال والقدرة على حمل
 الانتقال كما هو للابل وتنشأ معاهم ايضا على نسبة مع الابل
 في الصحة والفاظ فلا يطرقتها الوهن ولا الضعف ولا ينالها
 من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات
 لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل نضجه والدرياس
 والفربيون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل
 الحضر الرقيقة معاهم بما نشأت عليه من لطيف (1) الاغذية
 لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية
 ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
 اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب الطبوخة في
 بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها
 اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب
 بطرح ذلك البعر (2) مع البيض المحض فتجىء
 دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه
 الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان المجموع ايضا آثار
 في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه

(1) Man. A. et B. لطف.

(2) Man. A. et B. البعض.

فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط به

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرواية

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضاهم بخطابه وفضاهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضون على هدايتهم وباخذون بحجزانهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من المعارف وبظهرة على السنتهم من الخوارق الاخبار بوقوع الكايات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم لا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصته وضرورة الصدق لما بتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيط كأنها غشى او انحاء في راي العين وايست منها في شئ انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكليّة ثم

يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام
فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من
عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القى
عليه قال صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الوحي احيانا
بانينى مثل صاصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عني وقد
وعيت ما قال وحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكهنى فاعى
ما بقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والفظ ما لا يعبر عنه
ففى الحديث كان مما يعالج من التنزل شدة وقالت
عابشة كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك
قولا ثقيلًا ولاجل هذه الحالة فى تنزل الوحي كان المشركون
يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأى او تابع من الجن
وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن
يضلل الله فى له من عاد ومن علامانهم ايضا انه يوجد لهم
قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة الهذمومات والرجس
اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن
الهذمومات والمنافرة لها وكأنها منافية لحيته وفى الصحيح
انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها
فى ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى اسنتر بازاره
ودعى الى مجمع لوليمة وفيها عرس ولعب فاصابه غشى النوم

الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه
الله تعالى عن ذلك بجبائته حتى انه ليتنزه عن المطعومات
المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل
ولا الثوم ف قيل له في ذلك فقال انى اناجى من
لا تناجون وانظر لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم
خديجة بحال الوحي اول ما فجيئه وارادت اختباره فقالت
له اجعلنى بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب
عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب
النساء وكذا سألته عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال
البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة
والبياض من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر
والشياطين وامثال ذلك (ومن) علاماتهم ايضا دعاؤهم الى
الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت
خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك
ابو بكر ولم يحتاجا فى امره الى دليل خارج عن حاله
وخلقه وفى الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبى
صلى الله عليه وسلم بدعوه الى الاسلام احضر من وجد
ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان
فيما سأل ان قال بيم يامرکم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة
والصلاة والعفاف الى آخر ما سأل واجابه فقال ان يكن ما

يقول حقًا انه نبيّ وسيملك ما تحت قدميّ هانين
والعفان الذي اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلًا على صحة النبوة
ولم يحتج الى معجزة فدلّ على ان ذلك من علامات
النبوة (ومن) علاماتهم ايضًا ان يكونوا ذوي حسب في قومهم
وفي الصحيح ما بعث الله نبيًا الا في منعة من قومده وفي
رواية اخرى في نروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين
وفي مسائلة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال
كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل
والرسل تبعث في احساب قومهم ومعناه ان تكون له
عصبية (1) وشوكة تمنعه من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات
ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملته (ومن) علاماتهم ايضًا
وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي افعال تعجز البشر
عن مثلها فسميت معجزة وليست من جنس مندور العباد
وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها
ودالاتها على تصديق الانبياء خلاف الفالتمكّمين بناء على
القول بالفاعل المختار قابلون بانها واقعة بقدره الله تعالى
لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم
الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

عند الجميع ألا التحدى بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل
بها النبي قبل وقوعها على صدفه في مدعاه فتنزل منزلة
القول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلالتها على
الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدى
ولذلك كان التحدى جزءا منها وعبارة المتكلمين صفة
نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدى هو
الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما الى
التصديق فلا وجود للتحدى الا وجد اتفاقا وان وقع التحدى
فى الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هى على
الولاية وهى غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وعيره
وقوع الخارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدى
بالولاية وقد اربناك المغايرة بينهما وأنه يتحدى لغير ما
يتحدى به النبى فلا لیس على ان الفعل عن الاستاذ ليس
صريحا وربما حمل على انكار ان يقع خوارق الانبياء لهم
بناء على اختصاص كل من الثريقين بخوارقهما اما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
افعال العباد وافعالهم معتادة فلا خارق واما وقوعها على يد
الكاذب تلبيسا فهو محال اما عند الاشعرية فلان صفة
نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة واقول والتصديق كذبا

واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله وأما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الايجاب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والاسباب الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له فى التكوين والنبي عندهم مجبول على التصرف فى الاكوان متى توجه اليها واستجمع لها بيا جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان التحدى او لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي فى الاكوان الذى هو من خواص النفس النبوية عندهم لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدى جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يتم الشر بخوارقه والساحر على الضد فانعاله كلها شروفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة

كصعود السماء والنفوذ في الأجسام الكثيفة وأحياء الموتى وتكليم
الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الوحي دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر
عن تصريف الأنبياء ويأتي النبي بمثل خوارقه ولا يقدر هو
على مثل خوارق الأنبياء وقد قرّر ذلك المتصوّفة فيما كتبه
في طريقهم ونقلوه عن مواجدهم (1) وإذا تقرّر ذلك فاعلم
أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم
المنزل على نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه لأن الخوارق في
الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وتأتي المعجزة
شاهدة به وهذا ظاهر والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى (2) وهو
الخارق المعجز ودلالته في عينه ولا يفتقر إلى دليل اجنبيّ
عنه كسائر الخوارق مع الوحي فهو أوضح دلالة لأنّ حد
الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبيّ من الأنبياء إلا وأوتى من الآيات ما مثله آمن
عليه البشر وإنما كان الذي أوتينه وحيا أوحى إلىّ فإنا
أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة يشير إلى أن المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها
نفس الوحي كان المصدق لها أكثر لوضوحها فكثير المصدق
والمؤمن وهم التابع والامة والله سبحانه أعلم ويدلك هذا

(1) Man. D. لقوه عن أخبرهم.

(2) Man. D. المدعى.

كله على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه متلوا كما هو بكلمانه وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبياء يتلفونها في حال الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز فاخص الاعجاز بالقران ونلقيهم لكتبهم مثلها يتلقى نبينا المعاني التي يسندها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه ويشهد لملقيه القرآن متلوا قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وسبب نزولها ما كان يقع له من بداره الى ندارس الآية خشية من النسيان وحرصا الى حفظ ذلك المتلو المنزل فنكث الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هذا هو معنى الحفظ الذي اختص به القران لا ما ذهب اليه العامة فانه يعزل عن المراد وكثير من الآي يشهد لك بانه نزل قرانا متلوا معجزا بسورة منه ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على دعوته لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين فلويهم ولكن الله الف بينهم فاعلم هذا وتذكره تجده صحيحا كما قررت لك وتامل ما يشهد لك به من ارتفاع

رتبته على الانبياء وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم
ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من
المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الروبا ثم شأن العرافين وغير
ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله واياك انا
نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من
النزيب والاحكام وربط الاسباب بالمستببات واتصال الاكوان
بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا ننقص
عجايبه في ذلك ولا تنتهي غايانه وابداً من ذلك
بالعالم المحسوس الجسماني واوولا عالم العناصر المشاهد كين
تدرج صاعداً من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار
متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد ان يستحيل
الى ما يليه صاعداً وهابطاً وبسبب بعض الاوقات والصاعد
منها الطوف مما قبله الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهي
الطوف من الكل وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على
هيئة لا ندرك الحسن منها الا الحركات فقط وبها يهتدى
بعضهم الى معرفة مقاديرها واوضاعها وما بعد ذلك من
وجود الذوات التي لها هذه الانوار فيها ثم انظر الى عالم
التكوين كيف ابتداء من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على
هيئة بديعة من التدريج آخر افق المعادن متصل باول افق
النبات مثل الحشائش وما لا بزركه وآخر افق النبات مثل

النخل والكرم متصل باول افق الحيوان كالحلزون والصدف لم توجد لهما الا قوة اللبس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان بصير اول افق من الذى بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه انتهى فى تدرج (1) التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القردة الذى استجمع فيه الكيس والادراك ولم ينه الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك فى اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد فى العوالم على اختلافها اثارا متنوعة ففى عالم الحس اثار من حركة الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين اثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثرا مابيننا للجسام فهو روحانى ومتصل بالمكونات لوجود اتصال هذه العوالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة المحركة ولا بد فوقها من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا ونكون ذواند ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون النفس استعداد للانسلخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقا من الاوقات وفى لحظة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون

(1) Man. A. et B. تدرج.

لها اتصال بالافق الذى بعدها شأن الموجودات المترتبة كما
 قدّمناه فلها فى الاتصال جهتا العلو والسفل هى متصلة
 بالبدن من اسفل (1) منها ومكتسبة به المدارك الحسيّة
 التى نستعدّ بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من
 جهة الاعلا منها بافق البلائكة ومكتسبة منه المدارك العلميّة
 والغيبية فان علم الحوادث موجود فى ذواتهم من غير
 زمان وهذا على ما قدّمناه من الترتيب المحكم فى الوجود
 باتصال ذواته وقوة بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية
 غايبة عن العيان وآثارها ظاهرة فى البدن وكأنه وجميع
 اجزائه محتمة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة
 فالبطش بالمد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة
 الكلّية بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك
 مترتبة ومرتقية الى القوّة العليا منها وهى المفكرة التى يعبرون
 عنها بالناطقّة فقوى الحس الطاهر بالاند من البصر والسمع
 وسايرها ترتقى الى الباطن واولد الحس المشترك وهو قوة
 يدرك المحسوسات مبصرة ومسبوعة وملموسة وغيرها فى
 حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان
 المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يوديه
 الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشئ المحسوس

(1) Man. C. بالذى اسفل.

في النفس كما هو مجردا عن الهواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الوهية والحافظة فالوهية لادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة ابي واقتراس الذئب والحافظة لابداع الهدرات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الى وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله للاخرى ومؤخرة للاخرى ثم يرتقى جميعها الى قوة الفكر وآلة البطن الاوسط من الدماغ وهو القوة التي تقع بها حركة الروية (1) والموحة نحو التعقل تتحرك النفس بها دائما بها ركب فيها من النزوع الى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للشربنة ويخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة بالملاكا الى الروحانيات وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد ينساح بالكلية من البشرية وروحانياتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الحيلة والقطرة الاولى في ذلك والنفوس البشرية في ذلك على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع من الوصول الى الادراك

(1) Man D. الروية

الروحاني فيقع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من المحافظة الوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلم التصورية (1) والتصديقية (2) التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في الاغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقداسهم وحنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيشبع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لانطاق لها من سببها ولا من منتهاها وهذه مدارك الاولياء اهل العارم الدنيوية والعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت اهل السعادة في البرزخ وحنف مسطر على الاسراع من البشرية جملة جسمانيها وروحانيها الى الملكة من الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالنعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وحولها هم

(1) Man B. التصويرية

(2) Man D. الصريفة

الانبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوايقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرابهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طباعهم رغبة في العبادة تكتنف (1) بتلك الوجهة وتشيع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسأخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الاءى ما يتلقوه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسمع دوى كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى بلقى اليه رجلا فيكلمه وبعى ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كله كانه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعها فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي فى اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهى حالة الدوى هى رتبة الانبياء غير المرسلين على ما

(1) Man. A. et D. تكشف.

حقوقه والثانية وهي حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هي
رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا
معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم
لها سألده الحرث بن هشام وقال كيف يانيك الوحي
فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد على
فيفصم عني وقد وعيت ما قال وحيانا يتنقل الى الهلك
رجلا فيكلهني فاعى ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها
مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل
فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك
البشرية اختصت بالسهل وصعب ما سواه وعند ما يتكرر
الوحي ويكثر التلقى يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعوج
الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصا الاوضح
منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاول بصيغة
الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطينة من البلاغة وهي
ان الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي فتتمثلت الحالة
الاولى بالدوى الذي هو في المتعارف غير كلام وانحسر ان
الفهم والوعى يتبعه غيب انتضايه فناسب عند تصوير انتضايه
وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضي الهطابق للانقضاء
والانقطاع ومثل الهلك في الحالة الثانية برجل يخاطب
ويتكلم والكلام يساوقه الوعى فناسب العبارة بالهضارع

المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة فد اشار اليها القران قال تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً وقالت عايشة كان مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً ولذا كان يحدث عند في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما فررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فتحدث عند شدة من مفارقة الذات ذاتها واسلاخها عنها من افضها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدء الوحي في قوله فغطى حتى بلغ متى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما انا بتارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يقتضى الاعتياد فيد بالدريج شيئاً فشيئاً الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان نزل نجوم القران وسوره وآياته حين كان بمكة اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانها انزلت او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين اخر وكذلك كان من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في

الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والهدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة زواما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها واند يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء عليهم السلام بما فطروا عليه من ذلك وتقرر اند يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة شيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملائكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن عنده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد للاستعانة فيد وشتان ما بينهما فاذن اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجيلة فيكون بها بالجيلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك

تشبث بأمور جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة
وعظام الحيوان وسجع الكلام وما يسبح من طير او حيوان
يسنديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك
الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشييع له وهذه القوة التي
فيهم مبداء لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس
مفطورة على النقص والفصور عن الكمال كان ادراكها في
الجزئيات اكثر من الكليات وتكون متشبهة بها غافلة
عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم في غاية
القوة لانها آلة الجزئيات فتتخذ فيها نفوذا تاما في نوم
او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المتخيلة وتكون
لها كالمراءة تنظر فيها دايمًا ولا يقوى الكاهن على الكمال
في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشياطين وارفح
احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع
والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على
ذلك الاتصال الناقص فيهم جس في قلبه عن تلك الحركة
والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما يذفه على لسانه
فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر
اجنبي عن ذاته الهدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له
الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى
الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه

وتمويهها على السائلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون
باسم الكهّان لأنهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله
عليه وسلم فى مثله هذا من سجع الكهّان فجعل السجع
مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين سأله
كاشفا عن حاله بالاختبار كيف يانيك هذا الامر فقال
يانينى صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان
النبوة خاصيتها الصدق فلا يعربها الكذب بحال لانها
اتصال من ذات النبى بالملاء الاعلى من غير مشيخ ولا
استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه
الى الاستعانة بالتصوّرات الاجنبية فكانت داخلة فى ادراكه
والتسبب بالادراك الذى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه
الكذب من هذه الجهة فاستنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان
ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين السجع اخف
من ساير المعينات من المرئيات والمسموعات وبدل خفة
المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن
العجز بعض الشئ (وقد) زعم بعض الناس ان هذه الكهانة
قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين
بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعهم من
خبر السماء كما وقع فى القران والكهّان انما يتعرفون اخبار
السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من

ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين بدى النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرچ عند وجود الشمس لان النبوة هى النور الاعظم الذى يخفى معه كل نور او يذهب (وقد) زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدى النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلكى يقتضيه وفى تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التى دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه بافصه وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا اما متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النسبى بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شئ بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكى يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فاعل الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئة الخاصة ولو نقص بعض اجزائها

فلا يقتضى شيئاً إلا أنه يقتضى ذلك الأثر ناقصاً كما قاله ثم إن هولاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدّ مما للنائم ولا يصدّهم عن ذلك في التكذيب إلا وسواس الهطامع بأنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فإنه كان يطمع بان يكون نبياً وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانفطعت تلك الاماني آمنوا احسن ايمان كما وقع لطايحة الاسدي وقارب بن الاسود وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (واما الروبا) فتحقيقها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لحظة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تستجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لحظة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس فيها علم ما تشوق اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقباس ضعيفا وغير جلي عانيته بالمحاكاة والمثال في الخيال لتحصيله فيحتاج من اجل ذلك المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقباس قويا ستغنى

فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من الخيال
والمثال والسبب في وقوع هذه اللحمة للنفس انهما ذات
روحانيّة بالقوة مستكملة بالبدن ومداركة حتى تصير ذاتها
تعقلا محضا وبكامل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانيّة
مدركة بغير شئ من الآلات البدنيّة الا ان نوعها في
الروحانيّات دون نوع الهلائكة اهل الافق الاعلى الذين لم
يستكملوا ذواتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي
للالبياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الروبا (واما) الذي
للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشريّة الى الملكيّة
المحصنة التي هي اعلا الروحانيّات ويخرج هذا الاستعداد فيهم
مكررا في حالات الوحي وهو عند ما يعوج على المدارك
البدنيّة ويقع فيها ما يقع من الادراك سببها بحال النوم
سببها بيّنا وان كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه
عبر الشارع عن الروبا بانها جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وفي رواية ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد
في جميعها مقصودا بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت
هذه الهرايب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهي للتكثير
عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من
ان الوحي كان في مبدئه بالروبا ستة اشهر وهي نصف سنة

ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه اولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عامًا في البشر فمعه عواقب وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبلى لهم فتتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوق اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعل الشارع من المبشرات فقال لم يسبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (واما) سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الباطنة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيوانى الجسمانى وهو بخار لطيف مركزه فى التجويف الايسر

من القلب على ما فى كتب التشريح لجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطى الحس
والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده ويتم افعال القوى التى فى بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح البخارى وهى متعلقة
به بما اقتضه حكمة التكوين فى ان اللطيف لا يؤثر فى
الكثيف ولها لطف. هذا الروح الحيوانى من بين المواد
البدنية صار محلا لآثار الذات الهابطة له فى جسمانيته وهى
النفس الناطقة وصارت آناها حاصلة فى البدن بوساطته وقد
كنا قدما ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو
الحواس الخمس وادراك فى الباطن وهو بالقوى الدماغية
وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها
من ذوات الروحانيات التى هى مستعدة له بالفطرة ولها
كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للرهن والفشل
بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة
التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجدد الادراك
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيوانى من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن
وبعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب
الحرارة الغريزية اعماق البدن وينذهب من ظاهره الى باطنه

فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن
ولذلك ما كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل
فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى
الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت
الى الصور التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل (1)
صورا خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من
المدركات المتعاهدة قريبا ثم تنزلها الى الحس المشتركة
الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس
الخمس وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع
منازعة القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحاني لانها
مغطورة عليه ونقتبس من صور الاشياء التي صارت
متعلقه في ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصورة
الهدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في القوالب المعهودة
والمحاكاة من هذه هي المحتاجة الى التعبير وتصرفها
بالتركيب والتحليل في صور الحافظة (2) قبل ان تدرك
من تلك اللحظة ما تدرك هي اضغاث الاحلام وفي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا ثلاث
رويا من الله ورويا من الملك ورويا من الشيطان وهذا
التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية

(1) Man. A. et B التحليل

(2) Man A et B والصور الحافظه

الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسببها (1) ويشيعها من النوم وهى خواص للنفس الانسانية موجودة فى البشر على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسى فقد رآى فى نومه ما صدق له فى يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة الغيب فى النوم ولا بدّ واذا جاز ذلك فى عالم النوم فلا يمتنع فى غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامّة فى كل حال والله الهادى الى الحق (فصل) ووقوع ما يقع من ذلك للبشر غالبا انها هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانها تكون النفس مستشرفة للشئ فتقع لها تلك اللمحة فى النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع فى كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء نذكر عند النوم فيكون عنها الرويا فيما يتشوق (2) اليه ويسمونها الحالومة ذكر منها مسلة فى كتاب الغاية حالومة سماها حالومة الطباع التام وهى ان يقال عند النوم وبعد فراغ السرّ وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهى تماغس بَعْدان يَسْوَادَ وَغَداس نَوَفناغادِس وندكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسئل عنه فى النوم

(1) Man. A. et B. يسببها

(2) Man. A. et B. يتشوق

وحكى ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في مآكله
 وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسئل
 واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء
 مرآء عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف اليها من
 احوالى وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرويا
 يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس
 لوقوع الروبا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب لحصول ما
 يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب
 ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد
 غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
 امثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم انا نجد في النوع
 الانساني اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة
 فبهم يتميز فيها صنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون في ذلك
 الى صناعة ولا يستدلون عليه بانر من النجوم ولا غيرها انما
 نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها
 وذلك مثل العرافين والنظارين في الاجسام الشفافة كالمرايا
 وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوان واكبادها
 وعظامها واهل الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالحصى
 والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم
 الانسان لا يسه احد اجمدها ولا انكارها وكذلك المجانيين

تلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك فى الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن لان نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدى منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب فى جميع الاصناف التى ذكرناها (وذلك) انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما نخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التى يتم بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهى توجد اولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بهيئة البدن وما يعودها بورود مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هى من تلك الادراكات من المعانى الكلية فتتعقل (1) الصورة مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد العصبى فى اول نشوءه لا يقتدر على

(1) تعقل D. تعقل C. تتفعل A. Man (1)

الأدراك الذى لها من ذاتها لا فى نوم ولا بكشف ولا
 بغيرهما وذلك صورتها التى هى عين ذاتها وهى الإدراك
 والتعقل لم تتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تهت
 ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من
 الإدراك ادراك بآلات الجسم توديه اليها المدارك البدنية
 وادراك بذاتها من غير واسطة وهى محجوبة عنه بالانغماس
 فى البدن والحواس وشواغلها لأن الحواس ابداء جاذبة لها
 الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الإدراك الجسمانى
 وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن
 لحظة اما بالخاصية التى هى للانسان على الاطلاق مثل
 النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
 او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ
 الى الذوات التى فوقها من الملاء الاعلى لها بين افقها
 وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قرناها قبل وتلك
 الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها
 صور الموجودات وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شئ من
 تلك الصورة وتقتبس منها علما وربما دفعت تلك الصور
 المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم تراجع
 الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو
 شرح استعداد النفس لهذا الإدراك الغيبى ولنرجع الى ما

وعدنا به من بيان اصنافه (فاما) الناظرون فى الاجسام الشقافة من المرايا والظساس والمياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه فى اصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج فى رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها واشرفها البصر فيعكف به على الهوى البسيط حتى يبدو له مدركه الذى يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه هو فى سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون فى سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين المرآة حجاب كانه غمام تتمثل فيه صورهم مدركاتهم فتشير اليهم بالمقصود فيها يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه (واما المرآة) وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى للحس (1) كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين فى قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين فى الماء والظساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس بالبخور فقط

(1) Man. A et B الحسى.

ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر عما ادركت ويزعمون انهم يرون
الصور ^{مشخصة} في الهواء تحكى لهم احوال ما يتوجهون
الى ادراكه بالهتال والاشارة وغيبة هواء من الحس اخف
من الاولين والعالم ابو الغرايب (واما الزجر) وهو ما يحدث
من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سnoch طائر او حيوان
والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس نبعت على
الحس والفكر فيما زجر فيه من مرئ او مسوع وتكون
قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بها
راءه او سمعه فيوديد ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة
المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس
الهرئ في يقطه وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها
الرويا (واما المجانين) فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق
بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف الروح الحيوانى
فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس ولا منغيسة
فيها بها شغلها في نفسها من الم نقص ومرضه وربما زاحها
على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف
هذه عن ممانعتها فيكون عند التخبط فاذا اصابه ذلك
التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس في ذاتها او لما
زاحه من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه (1) جملة

(1) Man D. جسبه.

فادرك لمحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها
 الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير
 ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل
 لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس لا بعد الاستعانة
 بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجئ الكذب في
 هذه المدارك (واما العرافون) فهم المتعلقون بهذا الادراك
 وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي
 يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما
 يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون
 بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا) نحصيل
 هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما
 صادف تحقيقا ولا اصابه ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا
 عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله
 وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث وبتنافرون
 اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك
 غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم
 في الجاهلية شق من انصار بن نزار وسطيح من مازن بن
 غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة

ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما روبا ربعة بن نصر
وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من
بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا روبا الموبدان
التي اولها سطيح لها بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان منهم في العرب كثير وذكرهم في اشعارهم
فقال

فقلت لعراف اليمامة داوني فأتك ان داوينني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا شفاك الله والله مالنا بها حملت منك الصلوع بدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق
الاسدي (ومن) هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس
عند مفارقة اليقظة والتباسة بالنوم من الكلام على الشيء الذي
يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع
ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب
الاختيار في الكلام فيتكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان
يسمعه ويفهده وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
روسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن

بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بها يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دنّ مملؤ بدهن السهم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشئون راسه فيخرج من ذلك الدهن وحين يجفّ عليه الهواء يجيب عن كل شئ يسأل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير افعال السحرة لكن نفهم منه عجائب العالم الانساني (ومن) الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة مونا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلوّنت (1) بها النفس وذلك يحصل بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحسّ وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات (ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية) برتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند وبسجون

(1) Man. C. et D. تلوّنت

هناك الجوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة
والاخبار عنهم في ذلك غريبة (واما المتصوفة) فرياضتهم
دينية وعربية من هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع
الهمة والاقبال على الله بالكآبة لتحصل اذواق العرفان
والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فيها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت
النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت
عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة
الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون
مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة
فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب
واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم
من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون
بوجهتهم العبود لا لشيء سواه وان حصل اناء ذلك ما
يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم بقر منه اذا
عرض له ولا يحتفل به وانما يريد الله لذانه لا لغيره وحصول
ذلك لهم معروف وبسمون ما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من
التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بنكير في حقهم وقد
ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وابو محمد بن

ابى زيد المالكى فى اخربن فرارا من التباس المعجزة
بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو
كاف وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايح معروفة تشهد بذلك فى مثل قول عمر
رضى الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زميم كان قائدا
على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط
مع المشركين فى معركت وهم بالانهزام وكان بقربه جبل
يتحيز اليه فرقع (1) لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر
بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراى
شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثلها ايضا لابي بكر
فى وصيته عايشة ابنته رضى الله عنها فى شأن ما نحلها (2)
من اوسق التهر من حديقته ثم نبهها على جدادة لتحوزة
عن الورثة فقال فى سياق كلامه وانما هما اخوك واخناك
فقلت انما هى اسماء فهن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت
خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع (3) فى الهوطا فى باب
ما لا يجوف من النحل ومثل هذه الوقايح كثيرة لهم ولمن بعدهم
من الصالحين واهل الاقتداء الا ان المتصوفة يقولون انه يقل

(1) Man. A. B. et D. فوقع.

(3) Man. D. رفع.

(2) Man. C. يحلها. A. et B. يحلها.

في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حاله بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء الى المدينة النبوية سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله تعالى يرزقنا الهداية وبرشدنا الى الحق (فصل) ومن هولاء المریدين من المتصوفة قوم بهاليل معتمون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقيين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين وبقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك وبانون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا نحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتيد من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فان الله تعالى يختصهم بما شاء من مواهبه وهولاء القوم لم يعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كمال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود

الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش
ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة
على شئ من التكاليف وإذا صح ذلك فاعلم أنه ربما
يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة
ويلتحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها أن
هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها أصلا من ذكر
وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم
التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا ومنها أنهم
يخلقون على البله من أول نشوئهم والمجانين يعرض لهم
الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض
لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها
كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لأنهم لا يتوقفون على
أذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا
فصل انتهى بنا الكلام إليه والله المرشد إلى الصواب
(فصل) وقد يزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من
دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات
النجمية ومقتضى أوضاعها في الفلك وأنها في العناصر
وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر وبتأدي من
ذلك المزاج إلى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من
الغيب في شئ إنما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية

على التأثير النجومى وحصول المزاج مند للهواء مع مزيد
الحدس يقف به الناظر على تفصيله فى الشخصيات فى
العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك فى
محلّه ان شاء الله تعالى ولو ثبت فغايتة حدس وتخمين
وليس مما ذكرناه فى شىء (ومن) هولاء قوم من العامة
استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها
خط الرمل نسبة الى المادة التى يضعون فيها عليهم ومحصل
هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب
تختلف باختلاف مراتبها فى الزوجية والفرديّة واستوايها فيها
فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها او
افرادا فشكلا وان كان الفرد فيها فى مرتبة واحدة فقط فاربعة
اشكال وان كان الفرد فى مرتبتين فستة اشكال وان كان
فى ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
مميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شأن
الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعىة بزعمهم وكانها
البروج الاثنى عشر التى للفلك والاوراد الاربعة وجعلوا لكل
شكل بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من عالم العناصر
يختص به واستنبطوا من ذلك فتا حادوا به فنّ النجامة
ونوع قضايه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات
طبيعيّة كما زعم بطليموس وهذه انما دلالاتها وضعيّة وذلك

ان بطليموس انما تكلم في المواليد والقرانات التي هي عنده من آتار الكواكب والاوزاع (1) الفلكية في عالم العناصر وتكلم المنجمون من بعده في المسائل استخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام ذلك البيت النجومية وهي التي ذكرها بطليموس واعلم ان الضماير امور نفسية ليست من عالم العناصر فليست من آتار الكواكب ولا الاوزاع الفلكية ولا دلالة لهما عليها نعم ان صار لفن المسائل مدخل في صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والاوزاع الا انه في غير مدله الطبيعي فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والاوزاع استعصا (2) بالمعانة والارتفاع بالآلات وتعديل الكواكب بالحسبان واستخرجوا هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر بيتا من بيوت الفلك واواناده ونوعوها الى سعد ونحس ومستزج شأن الكواكب السيارة واقتصروا على التسديس من المناظرة ونزلوا الاحكام النجومية عليها كما في المسائل لان دلالة كل منهما غير طبيعيه كما قدمناه وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وصنفوا فيها الصانيف المحصلة لتواعدها واصولها كما فعله الزناني منهم وغيره (وقد) يكون من اهل هذه الصناعة من يتعرض بها لا دراك الغيب باشغال

(1) Man. A. et D. اوزاع

(2) Man. A. استعصا

الحسّ بالنظر في اشكال تلك الخطوط فيعتبره حالة الاستعداد كما يعترى المفطورين على ذلك كما نذكره بعد وهؤلاء اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة في العالم وربما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليها شأن الصنایع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبى يخط فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعضهم لان معنى الحديث كان نبى يخط فيأتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فانهم صلوات الله عليهم متفوتون في ادراك الوحي قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من ياتيه الوحي وبكلمة الهلك ابتداء من غير طلب والوجهة ولذلك ومنهم من يتوجه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال امته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجه وجهة ربانية يتعرض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطى التقسيم هنا قسما اخر ان وجد لان الوحي قد يكون وهو لا يستعد له بشئ من الاحوال كالذى ذكرناه وقد يكون وهو مستعد ببعض الاحوال كما نقل في الاسرائيلات ان بعض الانبياء كان يستعد لنزول الوحي

بسماع الاصوات الطيبة الملائحة وهذا النقل وان لم يكن
 متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فإله تعالى يخص انبياءه
 ورسله بما شاء (نسخة) وقد نقل لنا ذلك عن بعض الكبار
 من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغنا يتجرد
 بذلك لهداركه في مقامه دون النبوة وما منا الا له مقام
 معلوم) واذا تقرر ذلك وقد كنا قدّمنا ان في اصحاب خط
 الرمل من يتعرض للكشف به باشغال الحس بالنظر في
 تلك الخطوط والاشكال فيعترده حينئذ الادراك الغيبي
 الوجداني (1) بالتفرغ عن الحس جملة وبفارق المدارك البشرية
 الى المدارك الروحانية وقد مر تفسيرهما وهذا من الكهانة
 من نوع النظر في العظام واليهاء والمرايا بخلاف من يقتصر
 في ذلك منهما على الامر الصناعي الذي يحصل به على
 الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية
 بعد جايلا في سرامى الظنون فقد يكون شأن بعض الانبياء
 الاستعداد بالخط في مقامه النبوي لخطاب الملك كما
 يستعد به من ليس بنبي للادراك الروحاني ومفارقة
 المدارك البشرية الا ان ادراكه روحاني فقط وادراك النبي
 ملكي بالوحي من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط
 في مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبياء منها فانهم

(1) Man. B الوجدان.

لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر
وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اي فهو
صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي
الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط او تكون
الاشارة بذلك الى تعظييه وعلو شأنه في اتخاذ خطوط الرمل
بل لا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذي
كان النبي يستعد به للوحي فياتي على وفاقه واما اذا اخذ
ذلك عن الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه
وهذا معنى الحديث والله اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية
خط الرمل ولا جواز انتحاله لتعرف الغيب كما هو شأن اهله
في المدن وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل
النبي شريعة متبعة فيكون مشروعاً على مذهب من يرى ان
شرع من قبلنا شرع لنا وليس هذا بهطابق لذلك فان
الشرع انما هو للرسل المرشحين للامم والحديث لم يدل
على ذلك وانما دل على ان هذه الاحالة تحصل لبعض
الانبياء ويحتمل ان يكون غير مشروع فلا يكون ذلك شرعا
لا خاصا بامته ولا عاماً لهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة
تقع لبعض الانبياء خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا آخر ما اردنا
تحقيقه هنا والله الهلهم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب
بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط

سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كـرروا ذلك اربع مراتب فتجئ ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجا وبضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان او فردا فى مرتبة على الترتيب فتجئ اربعة اشكال يضعونها فى سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذى بازايله وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة فى سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع فى كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر السنة عشر تم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعادة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة فى العمران ووضعت فيها التوايف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهى كما رابت تحكم وهوى والتحقيق الذى ينبغى ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين

على الرجوع عن عالم الحسّ الى عالم الروح ولذلك سمى
المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقضيه
دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب
فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه
الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام
او غيرها اشغال الحسّ لترجع النفس الى عالم الروحانيات
لنخطه فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب
الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك
وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهذر من القول والعمل
والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل
هذا الادراك الغيبى انهم عند توجههم الى تعرف الكائنات
بعريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتشاوب (1) والتمطط
ومبادى الغيبة عن الحسّ ويختلف ذلك بالقوة والضعف
على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات
فليس من ادراك الغيب من شئ وانما هو ساع في
تنفيق كذبه (فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج
الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس
الروحانية ولا من الحدس المبنى على تأثيرات النجوم كما
زعمه بطليموس ولا من الظنّ والتخمين الذي يحاول عليه

(1) Man. A. التشاوب.

العرفون وإنما هي مغالط يجعلونها كالهصيد لاهل العقول
المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع
به الخواص (فمن) تلك القوانين الحساب الذي يسمونه
حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب
لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين
من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدها
بحساب الجمل المصطاح عليه في حروف ابجد من
الواحد الى الالف آحاد وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت
الاسم ونحصل لك مند عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منها تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية
هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان
كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب
الافل منهما الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا
فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين
فالمطلوب هو الغالب ونقل هنالك بيتين في هذا العمل
اشتهرا بين الناس وهما

ارى الزوج الاقراد يستوفلها واكثرها عند التخالف غالب
وبغلب مطلوب اذا الزوج وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا

معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالة على الواحد و(ى) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(ش) الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على الاثنين في الآحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي (بكر) ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالة على ثلاثة فسمات عنها كلمة (جلس) وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش × بكر × جلس × دمت × هنت × وضح × زغد × حفظ × طضع + مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة (ايقش) واثنان لكلمة (بكر) والثلاثة لكلمة (جلس) وكذلك الى التاسعة التي هي (طضع)

فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا لكل حرف منه في اى كلمة من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم يجمعون الاعداد التى ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زايدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها ولا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسرفى هذا القانسون بين وذلك ان الباقي فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كلها كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والهاينين والالفين وكلها انسان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثماية والثلاثة آلاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود فى كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات او المئين او الالف فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التى فيها وتجتمع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتواليه كتواليها ويفعلون فيها الطرح

بتسعة مثل ما يفعلون بالآخرى سواء وهى هذه ارب +
يسفك × جزلط × مدوص × هف × تحذن × غش × خع
تضظ × تسع كلمات على توالى العدد وفيها الثلاثى والرباعى
والثنائى وليست جارية على اصل مطرد كما نراه لكن
كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب فى هذه المعارف
من النجامة والسيما واسرار الحروف وهو ابو العباس ابن
البا ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات فى طرح
حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش فالله اعلم
كيف ذلك وهذه كلمها مدارك الغيب غير مستندة الى
برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب النيم
غير معزول الى ارسطو عند المحققين لما فيه من آراء البعيدة عن
التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك فتصفح ان كنت
من اهل الرسوخ (ومن) هذه القوانين الصناعيّة لاستخراج
الغيوب فيما يزعمون الزايرجة الهسامة زايرجه العالم المعزولة
الى ابي العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان
فى آخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من
ملوك الموحدين وهى غريبة العمل صنعية وكثير من الخواص
يولعون بافادة الغيب منها بعلمها المعروف الماغوز فيحرصون
لذلك على حل رمزه وكشف غامضه لذلك وصورتها
التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة فى داخلها دواير

متوازية منها للافلاك وللعناصر وللمكونات وللروحانيات
ولغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة
باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل
قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار على كل وتر حروف
متتابعة موضوعة فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد
عند اهل الدواوين والحسيان بالمغرب لهذا العهد ومنها
برشوم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدواير اسماء
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدواير جدول مكتر
البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين
بيتاً في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب
خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا
القسم التي عيّنت (١) البيوت العامرة من الخالية وحفا في
الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة
تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك
الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلاء
وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحندان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من
علماء اهل اشبيلية كان في الدولة اللهتونية ونص البيت

(١) Man. A et B. عن

سؤال عظيم الحلق حزت فص ادن غريب غرايب شك ضبطه الجدم مثلا
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب
من السؤال في هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج
الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال
وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك
ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج
الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة
الطالع فياخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى
آخره والاعداد المرسومة بينها وبصيروتها حروفا بحساب
الجمال وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشراتها الى
المئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها
مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على
الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف
والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط
ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف
الآخري ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل
وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب الهنقدم الذكر
ويضعونها ناحية ثم يتربون عدد درج الطالع في اس البرج
واسد عندهم هو بعد البرج عن آخر المرانب عكس ما عليه
الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول

المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الآس الأكبر والدور الأصغر ويدخلون بما يجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويفابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور وبعادون ذلك بعدد الأدوار المعينه عندهم لذلك فتخرج آخرها حروف متقطعة وتولف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العهل وروبه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعتى البتة وإنما المطابقة التى فيها بين الجواب والسؤال من حيث الأفهام والتوافق فى الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً وموافقاً للسؤال ووقع ذلك بهذه الصناعة فى تكسير الحروف المجتمعة

من السؤال والاوراق (1) والدخول في الجدول بالاعداد
المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج
الحروف من الجدول واطراح اخرى ومعاودة ذلك في
الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على
التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
مناسب بين هذه الاشياء فتقع له معرفة المجهول منها
فالتناسب بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من
المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل
الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر
وقد مرّ لك تعليل ذلك غير مرّة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله
ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة (2) العجيبة
والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما فيما
يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا
يكون النظم على وزنه ورويته وبدل عليه انا وجدنا اعيالا
اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت
فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق

(1) Man. A. et B الاوتاد

(2) Man. A. et B المعانيات

بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فينكر صحتها وبحسب انها من التخيلات والايهات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاوراق ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم بجئ بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والتفاوت بين الداركة والعقول ولكن من شأن كل مدرك ان ينكر ما ليس في طوقه ادراكه ويكفيها في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا مربة فيه عند من يباشر ذلك مهن له مزيد ذكاء وحدس واذا كان كثير من العانة (1) في العدد الذي هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفايتها فما ظنك مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها (فلنذكر) مسألة من العانة (2) بتضح لك بها شئ منها ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل باراء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم طيوراً بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة فجوابه ان تقول هي تسعة لانك

(1) Man. A. et C. المعانيات B. المعاينة (2) Man. A. et C. المعانيات B. المعاينة

تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان
عدّة اثمان الواحد ثمانية فكانت جمعت الثمن من كل درهم
الى الثمن من الاخر فكان كله ثمن طائر فهى نهاية طيور
عدّة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طابرا اخر وهو المشرى
بالفلوس الهاخوذة اولا وعلى سعرة اشتريت بالدراهم فتكون
تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمّر بسرّ
التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي
اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى
لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى
يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو فى الواقعات
الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم
نعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عنده فهو غيب
لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة فى
هذه الزايرة كلها انما هى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ
السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من
تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسرّ ذلك انما هو
من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف
ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
القوانين والجواب يدلّ فى مقام اخر من حيث وضوء
الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفى السؤال من نفى او

انبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة الكلام لها في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثانى من الكتاب الاول فى العمران البدوى
والامم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الاحوال
وفيه اصول وتمهيدات

فصل فى ان اجيال البدو والحضر طبيعيتهم

اعلم ان اختلاف الاجيال فى احوالهم انما هو باختلاف
سبلتهم من المعاش فان اجتهاعهم انما هو للتعاون (1) على
نحصيله والابتداء بما هو ضرورى منه وبسيط قبل الحاحى
والكمالى - فبهم من ينتحل الفلاح من الغراسة والزراعة ومنهم
من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز
والنحل والدود للقر لناجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القايهون
على الفلاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه
متبع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح

(1) Man C. et D. التعاون

للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضرورياً لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم إذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدةة وتعاونوا في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتائق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحصن ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجئ عوابد الترف البالغة مبالغها في التائق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالات البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها ولانتهاء في الصنایع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صروحها وتنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمهنتهم من لبوس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنایع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما وارفه من اهل البدو لان

احوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد
تبين ان احوال البدو والحضر طبيعىة لا بد منها كما قلناه

فصل فى ان جيل العرب فى الخليقة طبيعى

قد قدّمنا فى الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون
للمعاش الطبيعى من الفلاح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون
على الضرورى فى الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال
والعوابد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجى او كمالى
فيشخذون البيوت من الشعر او الوبر او الشجر او من الطين
والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكنن لا ما وراءه
وقد يآوون الى الغيران والكهوف واما اقوانهم فيتناولونها
بيسير العلاج او بغير علاج البتة الا ما مسته النار فمن كان
معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به اولى
من الطعن وهؤلاء سكان الهدائر والقرى والجبال وهم عامّة
البربر والاعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل البقر والغنم
فهم ظواعن فى الاغلب لارنياد المسارح والبياه لحيوانهم اذ
التقلب فى الارض اصاح بها وبسّمون شاوية ومعناه
النفايهم على الشاء والبقر ولا يبعدون فى
القمر لفقدان المسارح الطيبة به وهؤلاء مثل البربر والتركت
واخوانهم من التركمان والصقالبة (واما) من كان معاشهم

في الابل فهم اكثر طعنا وابعد في القفر مجالا لان مساح
 التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى به الابل في قوام حياتها
 عن مرعى الشجر في القفر وورود مياهه المالحه والتقلب
 فصل الشتاء في نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه
 وطلبا لمفاحص النتاج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان
 فصالا ومخاضا واحوجها في ذلك الى الدفء فاضطروا
 الى ابعاد النجعة وربما ذادتهم الحامية عن التلول ايضا
 فاوغلوا في القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعداؤنهم
 فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا من اهل الحواضر
 منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقتس من الحيوانات
 العجم وهؤلاء هم العرب وفي معناهم ظواعن البربر وزنانة
 بالمغرب والاكراد والتركيان والترك بالمشرق الا ان
 العرب ابعد نجعة واشد بداعة لانهم محتصون بالقيام على
 الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد
 نبين لك ان جيل العرب طبعي لا بد منه في العمران
 واللد الخلاق العليم

فصل في ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية
 اصل العمران والامصار وسدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضرورتى في احوالهم

العاجزين عمّا فوقه وإن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال فى احوالهم وعوايدهم ولا شك ان الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه وكان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشى عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لأن اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الترف والكمال الا اذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البداوة قبل رفه الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه (1) منها ومتى حصل على الرياش الذى تحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه من قياد المدينة وهكذا شأن اهل القبائل المبندة كلهم والحضرى لا يتشوف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته (ومما) يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بضاحية ذلك المصر وفى قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك يدل على ان احوال الحضارة ثانية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربّ حى اعظم من حى

(1) Man. C. مفرجه

وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر
عمرانا من مدينة وقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار واصل لها كما ان وجود المدن والامصار
من عوايد الترف والدعة الذى هو متأخر عن عوايد الضرورة
المعاشية

فصل فى ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة
وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيبة
لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
بنصرانه او يمجسانه وبقدرا ما يسبق اليها من احد الخلقين
بعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن
الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا
عوايده واهل الحضرة لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف
والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوئت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعثت عليهم
طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى
لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة فى احوالهم فنجد الكثير
منهم يقذعون فى اقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين

كبرائهم واهل محارمهم لا يصدّهم عنه وازع الحشمة لما
 اخذتهم به عوايد السؤ في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً
 واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم لا انه في
 المقدار الضروري لا في الترف ولا في شئ من اسباب
 الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم في معاملاتهم على
 نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السؤ ومذمومات
 الخلق بالنسبة الى اهل الحضرة اقل بكثير فهم اقرب الى
 الفطرة الاولى وابتعد عما ينطبع في النفس من سؤ الهلكات
 بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج
 الحضرة وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية
 العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير
 فقد نبيّن ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة
 والله يحبّ المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في
 حديث البخاري من قول الحجاج لسليمة بن الأكوع
 وقد بلغد انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على
 عقبك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول
 الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 حبّ حلّ من المواطن ينصرونه وبظاهرونه على امره
 ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان

اهل مكة يمستهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في
الظهارة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد
كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى
البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص عند مرصده
بمكة اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم
ومعناه ان يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا
عن هجرتهم التى ابدوا بها وهو من باب الرجوع على
العقب نى السعى الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك
كان خاصا لما قبل الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا
ونكفل الله لبيد بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة
حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قيل
سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وحوبها عن
اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة
ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ فى آفاق وانتشروا
ولم يبق الا فضل السكنى فى المدينة وهو هجرة فقول
الجماع لسلمة حين سكن البادية ارددت على عقبك
تعربت يعى عليه فى نركت السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء
المأثور الذى قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وبقوله
تعربت الى انه صار من العرب الذين لا يهاجرون واجاب

سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انها نعى عليه تركت السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل مما اثره به واختصه الا لمعنى عليه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي نولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم لا نهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وربيت على ذلك منهم اجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على ابي مئواهم حتى صار ذلك خلقا لهم
 بتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم
 في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الاسوار
 والابواب قايييون بالمدافعة عن انفسهم لا يكونها الى سواهم
 ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دايمًا يحملون السلاح ويتلقتون (1)
 عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الا غرارا
 في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب يتوجسون للنسابة
 والهيئات (2) وينفردون في القفر والبيداء مدلين بباسهم واثقين
 بانفسهم قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون
 اليها متى دعاهم داع او استفزهم صارخ واهل الحضرمها
 خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون
 معهم شئا من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في
 معرفة النواحي والجهات وموارد الماء ومشارع السبل وسبب
 ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوايدة ومالوفد
 لا ابن طبيعته ومزاجه فالذى الفه من الاحوال حتى صار له
 خلقا وملكة وعادة تنزل (3) منزلة الطبيعة والجبلّة واعتبر ذلك
 في الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو
 الخلاق العليم

1) Man. D. يلتفتون

(2) Man. D. الصعاب

(3) Mau. C. تنزل

فصل فى ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم
ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء
المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان
يكون للانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة
وعادلة لا يعانا منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها
مدلين بما فى انفسهم من شجاعة او جبن وانقين بعدم الوازع
حتى صار لهم الادلال جبلة لهم لا يعرفون سواها واما اذا كانت
الهلكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم
ونذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاثر فى النفوس المضطهدة
كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضى الله عنهما عن مثلها
لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفا من الذهب وكان انبع الجالوس يوم
القادسية فقله واخذ سلبه فانزعه منه سعد وقال هلا (1) انتظرت
فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر
بعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك
ما بقى من حربك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر
سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلية
لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة

(1) Man. A. B. et C. الا

التي تكسر من سورة بأسه بلا شكّ وأما اذا كانت الاحكام
تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك
بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بأسه
ولهذا نجد المتوحّشين من العرب اهل البدو اشدّ بأسا منهم
تأخذة الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها
من لدن مرباهم في التاديب والتعليم في الصنایع والعلوم
والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون
يدافعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة
العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين
للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فتفهم هذه
الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا تستنكرون (1) ذلك بما
وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم
ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشدّ الناس بأسا لان
الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان
وازه فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب
ولم يكن بتعليم صناعتى ولا تاديب تعليمى إنما هى احكام
الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون انفسهم بها بما رشح
فيهم من عقايد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة بأسهم
مستحكمة كما كانت ولم تخدشها اظفار التاديب والحكم

(1) يستنكرون . B. يستكرون . Man A et D.

قال عمر رضى الله عنه من لم يودبه الشرع ولا آدبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه وبقينا بان الشارع اعلم بمصالح العباد (ولها) تناقص الدين فى الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما يؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم ونخسده (1) الشوكة منهم بمعاناتها فى وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال ابو محمد بن ابي زيد فى كتابه احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان فى التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضى واحتج له بعضهم بما وقع فى حديث بدء الوحي من شأن الغظ وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصالح شأن الغظ ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

(1) ماد. B. حصد. C. حصل. D. حصد.

فصل فى ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب فى طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال تعالى فالهمها فجورها ونقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل فى مرعى عوايده ولم يهذب به الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجرم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى مناع اخيه امتدت يده الى اخذه الى ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان نجد ذا عفة فلعله لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدى من تحتهم من الكافة ان يهتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن النظام الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذى من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه زياد الحماية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة (واما) احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بها وقر فى نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حلهم فانما يذود عنها من خارج حامية الحى من انجادهم وفتيانهم

المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم وبخشى جانبهم اذ نعمة كل احد على نسبه وعصبيته اهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوى ارحامهم وقرباهم موجود فى الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القران عن اخوة يوسف حين قالوا لابي له لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا ينوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له واما المنفردون فى انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم الجوّ بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقتدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك فى السكنى التى تحتاج الى المدافعة والحماية فيمثلها يتبين لك فى كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما فى طباع البشر من الاستعصاء ولا بد فى القتال من العصبية كما ذكرناه انفا فاتخذها اماما نقندى به فيما نوردته عليك من بعد والله الموفق

فصل فى ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او
ما فى معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعى فى البشر الا فى الاقل
ومن صلتها النعرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم
عظيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد فى نفسه غضاضة
من ظلم قريبه او العدا عليه ويودّ لو يحول بينه وبين ما
يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعىة فى البشر
مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريبا
جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة
فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض
الشيء فربما تنوسى بعضها وتبقى منه شهرة فتحمل على
النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة
التي يتوهها فى نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه
(ومن) هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل
ولايه وحلفه للانفة التي تالحق النفس من اقتضام جارها او
قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل
الاحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريبا منها
ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايدته

هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة
والنصرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمى
لا حقيقة له ونفعه له انما هو فى هذه الوصلة والالتحام
فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة
كما قلناه واذا كان انما استفاد من الخبر البعيد ضعف فيه
الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو
المنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار
من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه عن النفس وانتفت
النعمة التى تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه والله
تعالى اعلم

فصل فى ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين
فى القفر من العرب ومن فى معانهم

وذلك لها اختصوا به من نكد العيش وشطف الاحوال
وسوء الموطن حملتهم عليها الضرورة التى عينت لهم تلك
القسمة وهى بما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش فى القفر لرعيها من
شجرة ونتاجها فى رماله كما تقدم والقفر مكان الشطف
والسغب فصار لهم افا وعادة وربيت فيها اجيالهم حتى

تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهبهم
 فى حالهم ولا يأنس بهم احد من الاجيال بل لو وجد
 واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما
 تركه فيومن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها
 ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك فى مضر من
 قريش وكنانة وثقيف وبنى اسد وهذيل ومن جاورهم من
 خزاعة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع
 وبعثوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحسب
 كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط
 ولا عرف فيها شوب (واما) العرب الذين كانوا فى التلول فى
 معادن الخصب للمراعى والعيش من حمير وكهلان مثل
 لخم وجدام وغسان وطى وقضاعة واياها فاختلفت انسابهم
 وتداخلت شعوبهم ففى كل واحد من بيوتهم من الخلف
 عند الناس ما تعرف وانها جاءهم ذلك من قبل العجم
 ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب فى بيوتهم
 وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب
 ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من
 قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياض من
 الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى الخصبة فكثر
 الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع فى صدر الاسلام

الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند
العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب
امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى
عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون
بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم
وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من
العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت
العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث
الارض ومن عليها

فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

انّ من البين انّ بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل
نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قوم
بجناية اصابها فيدعى بنسب هؤلاء وبعدّ منهم في ثمرانه
من العرة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت
نهرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء او من
هؤلاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم
انّ قد يتناسا النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم
بد فيخفى على الاكثر فيما زالت الانساب تسقط من شعب
الى شعب وبتحم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب

والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المنذر وغيرهم تتبين
شيئا من ذلك (ومنه) شأن بجيلة في عرفة بن هزيمة
لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيف
اي دخيل واصيق وطلبوا ان يولى عليهم جريرا فسأله عمر
عن ذلك فقال عرفة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل
من الازد اصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه
كيف اختلط عرفة بجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم
حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايجه
ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجملة وعد
منهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سر الله في خليقته
ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

فصل في ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون
في غير نسبهم

وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما
يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرئاسة على القوم ان
تكون من عصبية غالبية لعصبيانهم واحدة واحدة لان كل
عصبية منهم اذا احست بغلبة عصبية الرئيس لهم اقرروا
بالادعان والانباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون
له عصبية بالنسب انما هو ملصق نزيف وغاية التعصب له

بالولاء والخلق وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وان
فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من
الاتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة
قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما
نكون متناقلة فى منبت واحد يعين له الغلب بالعصبية
فالاولية التى كانت لهذا الملقق قد عرف فيها التصاقه
من غير شك ومنعه ذلك الاصلاق من الرياسة حينئذ
فكيف تنقلت عنه وهو على حال الاصلاق والرياسة لا بد
وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب
بالعصبية (وقد) يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل
والعصائب (1) الى انساب يالحقون (2) بها اما لخصوصية
فضيلة كانت فى اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم
او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون
بالدعوى فى شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من
القدح فى رياستهم والطعن فى شرفهم وهذا كثير للناس
فى هذا العهد (ومن ذلك) ما تدعيه زناة جملة انهم من
العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى
عامر احدى شعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد
منهم لحق جدتهم بنى عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط

(1) Man. A. et B. العصبيات. (2) Man. A. et B. يالهيون. C. يالهيون.

بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي
(ومن) ذلك ادعاء بنى عبد القوى بن العباس من توجين
آتهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا
النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابي عبد
القوى ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه
كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة
والعبيديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين
(وكذلك) ما يدعيه ابناء زيان ملوك بنى عبد الواد آتهم
من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم
من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتي ايت القاسم اى
بو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او
القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية
القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم
له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم
القاسم فانه كثير الدوران في الادارسة فتوهموا ان قاسمهم
من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم
للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية
ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحمل على هذا
المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد
عن الرد (فلقد) بلغنى عن يغيراس بن زيان موثلا سلطانهم

انه لها قيل له ذلك نكرة وقال بلغته الزنايية ما معناه اما الدنيا والملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في الآخرة فمردود الى الله واعرض عن المتقرب اليه بذلك (ومن) هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بنى يزيد من زغبة انهم من ولد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بنى يَدَلْتَن من توجين انهم من سليم وكذا الذواودة شيوخ رياح انهم من اعقاب البرامكة وكذلك بنو مهنا امراء طى بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم فى قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل يعين ان يكونوا من صريح ذلك النسب واقوى عصباته فاعتبره واجتنب المغالطة فيه ولا يجعل من هذا الباب الحاق مهدى الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة فى هرغة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتهاه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة فى دعوته وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

فصل فى ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل
العصبية ويكون لغيرهم بالسجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى

البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليه تجلّة في اهل جلدته لما وفر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشوئهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بيّنا ان ثمرة الانساب وفايدتها انما هي العصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها ذكي محمي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف من الاباء زايدها في فايدتها فيكون الحسب والشرف اصيلا في اهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموه فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعدّ سلفا في خلال الخير ومخالطة اهل مع الركون على العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الاباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز بعلاقة ما فيه من تعدد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق (وقد) يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم

ينسأخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار
ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به
انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها
في شئ لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار
الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون
بذلك واكثر ما رسخ الوسواس لذلك لبنى اسرائيل فانه
كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولا لما
عدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه
السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية
ثانيا وما اتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم
انسأخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب
عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر آفا من
السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون
هذا هرونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا
من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ
احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين في
انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان (وقد غلط
ابو الوليد ابن رشد في هذا لها ذكر الحسب في كتاب
الخطابة من تاخيص كتب العلم لاول فقال والحسب هو
ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما

ذكرناه وليت شعري ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم عصابة يرهب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من نوتر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربي في حيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقي في امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليفة والله بكل شئ عليم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدما الآن ان الشرف بالاصاله والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بسهمهم فى نلتك العصبية ولبسوا جلدتها كاتها عصبيتهم وحصل لهم من

الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقيق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته نافع له في تلك العصبية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها (1) فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبه في ولايته واصطناعه لا يتجاوزة الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها الا ترى الى موالي الترك في دولة بني العباس والى بني برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا العجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمتها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولايتها والاصالة في اصطناعها ويضعحل نسبة الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به في اصالته

(1) Man. A. et B. عصبيتها.

ومجده وإنما المعتبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا من شرف مواليه وبيته من بنائهم (1) فلم ينفعه نسب الولادة وإنما بناء مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبية ودولة فاذا ذهبت وصار ولاه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب عصبية وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وان كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه واكمكم عند الله اتقاكم

فصل في ان الحسب في العقب الواحد اربعة آباء

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كايين فاسد لا من ذواته ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات للانسان وغيره كايينة فاسدة بالمعينة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم

(1) Man A. et B. بنائهم.

تدرس وكذلك الصنایع وامثالها والحسب من العوارض
التي تعرض للادميين فهو كايں فاسد لا محالة وليس يوجد
لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آبايه من لادن
آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
كرامة به وحيطة على الشرفية (1) واول كل شرف خارجة كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال
وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق
عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء من
عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنايه
ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقايد وابند من
بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذة عنه الا انه
متصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعايين ثم اذا
جاء الثالث كان حظه لاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر
عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم
واحتقرها وتوهم ان ذلك البيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر واجب لهم منذ اول النشاء بمجرد انتسابهم
وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس
ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب

(1) السرفه. Man. A. B. C.

نظ فیرباء بنفسه عن اهل العصبية وبرى الفضل عليهم وثوقا بما روى فيد عن استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحترقهم لذلك فينتقصون (1) عليه ويحترقونه ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعها في غير ذلك العقب للاذعان بعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتدوى فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزير (واشتراط) الاربعة في الاحساب اما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة وبلاسى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد ومادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحساب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ في المجد وفي

1: Man B. ينتقصون D. ينقصون.

التورية ما معناه انا الله ربك طابق غير مطالب بذنوب
الآباء للبين على الثوالت وعلى الروابع وهو يدل على ان
الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب (ومن) كتاب
الاجاني في اخبار عوفى القوافى ان كسرى قال للنعمان هل
فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شىء
قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه روساء ثم اتصل ذلك
بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده
الا فى آل حذيفة بن بدر الفزارى وهم بيت قيس وآل
حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت
شيبان وآل الأشعث بن قيس من كندة فجمع هؤلاء الرهط
ومن تبعهم من عشائيرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام
حذيفة بن بدر ثم الأشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم
سظام ابن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس
بن عاصم وخطبوا ونشروا فقال كسرى كلهم سيد بصاح
لموضعده وكانت هذه البيونات هى المذكوره بالشرف فى
العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الديان من بنى
الحرث بن كعب بيت اليمن وهذا كله يدل على ان
الاربعة آبا نهاية فى الحسب والله اعلم

فصل فى ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا فى الشجاعة كما قلناه فى المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما فى ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد تختلف احواله فى ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياض وبنكوا النعيم والعوا عوايد الخصب فى المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدائتهم واغبر ذلك فى الحيوانات العجم فى دواجن الطيباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين وانحصب عيشها كيف يختلف حالها فى الانتهاض والشدّة حتى فى مشيتها وحسن اديها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس والف وسبب ان تكون السجاياء والطبايع انما هو عن المألوفات والعوايد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق فى البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا فى العدد وتكافا فى القوة والعصاة وانظر فى ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة الموطنيين ارياف العراق ونعيمة لها بنى مضر فى بداوتهم ونقدمهم الاخرون الى

نحصب العيش وفضارة النعيم كيف ارفقت البداوة حدتهم في التغلب فغابوهم على ما في ايديهم وانتزعوهم منهم وهكذا حال بنى طى وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تاخروا في باديتهم عن ساير قبائل مضر واليمن ولم يلتسوا (1) بشيء من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حتى من العرب يلى نعيا وعيشا نحسبا دون الحقى الاخر فان الحقى المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافا في القوة والعدد سنة الله في خلقه

فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قدما ان العصبية بها نكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدما ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل احتياج الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم نتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة اتما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالفهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع

(1) مان C et D. تكتسوا

ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية العصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفضى (1) الى الاختلاف والنزاع ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ثم) اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافانها او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها شان القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها او استتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى واجدًا وهكذا دائما حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل

1) Man A. et B. المعضى

العصبيات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما
 بعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد
 وهو كما وقع للترك في دولة بنى العباس ولصنهاجة وزناتة
 مع كتامة وابنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية
 والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها اذا
 بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد
 او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
 وان عاقها عن بلوغ الغاية عوايق كما نبينه وقففت في
 مكانها الى ان يقضى اللد بامرته

فصل في ان من عوايق الملك حصول النرف وانغماس
 القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغالب
 استولت على العدة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب
 في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصنة
 بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من
 القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع اسرها ولا مشاركتها
 فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من
 نعمتها وبشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ
 من منازع الملك ولا اسبابه انما همهم النعيم والكسب وخصب

العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ
بمذاهب الملك في المباني والملابس الاستكثار من ذلك
والآنق فيد بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو
اليه من نوابغ ذلك فتذهب نحسونة البداوة وتضعف العصبية
والبسالة ويتنعمون فيما اناهم الله من البسط وينشأ بنوهم
واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم
وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن ساير الامور الضرورية في
العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصبيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية
فيتاذنون بالانفراض وعلى قدر نرفهم ونعمتهم يكون اشرافهم
على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض السرف والغرق في
النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت
العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتهمتهم الادم سواهم فقد بين ان الترف من عوايق
الملك والله نوبى ملكه من يشاء

فصل في ان من عوانق الملك حصول المذلة للقبيل
والانقياد لسواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية
وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رأوا .

للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة
 فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك
 في بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك
 الشام واخبرهم ان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا
 عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
 حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من قدرته
 غير عصبيتنا ويكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم
 عليهم لتجوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك
 فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن
 المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما بوثر في تفسيرها
 وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رأوا من الذل
 الملقب احقبا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم
 يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم
 وان العبالفة الذين كانوا باريجا فريستهم بحكم من الله قدره
 لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعوبلا على ما علموا من انفسهم
 من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من المذلة وطغنوا فيما
 اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه
 وهو انهم اقاموا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر
 اربعين سنة لم ياءوا فيها لعيران ولا نزلوا مصرا كما قصه القرآن
 لغاظة العبالفة بالشام والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن

مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآيه ومفهومها ان
حكمة ذلك التيه مقصودة وهى فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والفوه وتخلقوا به وافسد من عصبيتهم
حتى نشاء فى ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام
والقهر ولا يسام بالمذلة فنشاءت لهم بذلك عصبية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب وبظهر لك من ذلك
ان الاربعين سنة اقل ما يتانى فيها فناء جيل ونشاة جيل
اخر سبحانه الحكيم العليم وفى هذا اوضح دليل على شأن
العصبية وانها التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية
والمطالبة وان من فقدها عجز عن جميع ذلك

ويأتحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم
والضرايب

فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمذلة
فيه لان فى المغارم والضرايب ضيما ومذلة لا نحتملها النفوس
الاسية الا اذا استهونته عن الفل والتلف وان عصبيتهم حينئذ
ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبته لا ندفع
عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له
الانقياد للذل والمذلة عايقة كما قدمناه ومنه فى الصحيح
قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحرث لما راي سكة

المحراث في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذل هذا الى ما يصحح ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيز من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان الرجل حدث فكذب ووعد فأخلف (فاذا) رايت القبيل بالمغارم في ربة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناتة بالمغرب كانوا شاوية يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استثبت (1) لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا مقالة شهربراز (2) ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لها اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصفوى معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بها نحبتون ولا تذللونا بالجزية فنوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيها قلناه فانه كاف

(1) Man. C. استثبت. D. استثبت.

(2) Man. C. شهربراز. D. شهرنزار.

فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لها كان الملك طبيعياً للانسان لها فيه من طبيعة الاجتماع
كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر
باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لانّ البشر انما جاءه من
قبل القوى الحيوانية التي فيد واما من حيث هو انسان فهو
الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من
حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن
خلال الخير فيه وهي التي تناسب السياسة والملك اذ
الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل
بنسبى عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشير وفرع
يتم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية العصبية
فهو غاية لفروعها وامتيازها وهي الخلال لانّ وجوده دون
متهمانه كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عربانا بين
الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير استحالة الخلال
الحميدة نقصا في اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل
الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا
فالسياسة والملك هو كفالة لخالق وخلافة لله في العباد
في الاحكام واحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير

ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد نهىء للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واوضح مبنى فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا الى اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على الهكارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما بجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتماد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والهشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدر

والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات والمراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا نادى الله بانفراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا نزال في انتقال الى ان يخرج الملك من بين ايديهم وتبدل بد سواهم ليكون نعيها عليهم في سلب ما كان الله قد اناهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تديرا واستقر ذلك ونتبعه في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله بخلق ما يشاء ويختار (واعلم ان من خلال الكمال الذي تتنافس فيه القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبية والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم حبل العشير

والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحتمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم الكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء مهن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايد واکرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كما في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلية للحاجة اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى نعم المنفعة بهم والغرباء من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتابوهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تاذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل اهل الهلك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب وارتقب زوال الهلك منهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مردّ لد

فصل في انه اذا كانت الامّة وحشيّة كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد
الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من
الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب
وزنائة ومن في معانهم من الاكراد والتركمان واهل الشام من
صنهاجة وايضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يربطون منه
ولا بلد يجتاحون اليه فبسبب الاقطار والمواطن اليهم على
السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاوره من
البلاد ولا يقفون عند حدود اقطابهم بل يطعمون (1) الى الاقاليم
البعيدة ويتغلبون على الامم النابتة وانظر ما حكى في
ذلك عن عمر رضي الله عنه لما بوع وقام يحرض الناس
على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على السجعة
ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك اين الطراء المهاجرون عن موعد
الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان
بورئكموها فقال ليظهروا على الدين كله ولو كره المشركون
واعبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التباينة
وحمير كيف كانوا يخطون فيها نقل من اليمن الى المغرب
مرّة وإلى الهند والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب

(1) يطعمون D. بطعمون Man. A. et B.

من الأمم وكذا حال الهاشميين بالمغرب لما نزعوا الى الملك
ظفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى
الاقليم الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة
وهذا شأن هذه الأمم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع
نطاقا وابتعد من مراكزها نهاية والله مقدر الليل والنهار

فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من
أمة فلا بد من عودة الى شعب آخر منها ما دامت
لهم العصبية

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة
الغلب والاذعان لهم من ساير الأمم سواهم فيتعين منهم
الباشرون للامر الحامون لسير الملك ولا يكون ذلك
لجميعهم لها دم عليه من الكثرة التي بضيق عنها نطاق
اليزاحمة وللغيرة التي تجدد انوف كثير من المتطاولين للرتبة
فاذا تعين اولئك القايمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا
في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين
بعدوا عن الامر وكبجوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة
التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف
واسبابه فاذا استولت على الاولين الابام وابد غضراهم الهرم

وطختهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارفى من
النعيم من حدهم واشتفت غريزة (1) الترف من مائهم وبلغوا
غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي
كدود القزوينج ثم يفنى بهركز نسيجه في الانعكاس

وكانت حينئذ عصبية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر
محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتسمو آمالهم الى الملك
الذى كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم
وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر
وبصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقى ايضا منتبذا عنه
من عشائير امتهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الى ان
تنكسر سورة العصبية منها او تفنى ساير عشائيرها ستة الله
في الحيوه الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما
وقع في الاسم لها انقرض ملك عاد قام من بعدهم اخوانهم
من نمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم اخوانهم
من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبايعه من حمير ايضا ومن
بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا الفرس
انقرض امر الكينية فهلك من بعدهم الساسانية حتى
تاذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب

(1) Man. B. عزبة. C. غريزة. D.

لما انقرض امر مغراوة وكتامة الهلوك الاول منهم رجع الى عنهاجة ثم المثلثين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقى من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهبه كما سنذكره بعد فاذا انقرضت دولة فانها يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي نأذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لهضرين غلبوا على الاسم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقابا

فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقتراء بالغالب في شعاره وزبه ونحلته وسائر احواله وعوايده

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما نظرته بالكمال بها وقر عندها من تعظيمه

او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعى - انها هو
لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادا
فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاقتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس
بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلته من العوايد والمذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك
ترى المغلوب يتشبه ابا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه
فى اتخاذها واشكالها بل وفى ساير احواله وانظر ذلك
فى الابناء مع اباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايا وما
ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
كيف يغلب على اهله زى الحامية وجند السلطان فى
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور
اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا السببه
والاقتداء حظ كبير كما هو فى الاندلس لهذا العهد مع امم
الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملبسهم وشارانهم
والكثير من عوايدهم واحوالهم حتى فى رسم التماثيل فى
الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك
الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلاء والامر لله وتامل فى
هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابد اذ الملك
غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه

اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بعلماهم والله العليم الحكيم

فصل فى ان الامة اذا غلبت وصارت فى ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء

والسبب فيه والله اعلم ما يحصل فى النفوس من التكاثر
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقصر الامل ويضعف والتناسل والاعتمار انما هو من
حدة الامل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعو اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص
عمرانهم ونلاشت مكاسبهم ومساءعهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين
لكل متغلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم
من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر آخر وهو ان
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى جعل له
والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل
حتى عن شبع بطنه ورتى كبده وهذا موجود فى اخلاق
الاناسى ولقد يقال مثله للحيوانات المفترسة وانها لا تسافد
اذا كانت فى ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المهلوك
امرء عليه فى تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء

والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت
 قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب
 بقى منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى من
 وراء المداين فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة
 وثلاثون الفا رتب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب
 وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودفنوا كان لم يكونوا
 ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة
 الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان
 اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يذعن للرق
 في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من
 عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في
 رتبة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك
 بالمشرق والمعلوجا من الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان
 العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما
 يوملون من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وعبث
 بنهبين ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر وبفرون
 الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاخرة (1) والمحاربة الا اذا

(1) مراهقة D. مراجعة B. مراجعة A. Man.

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم ناركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة عن عيهم وفسادهم لانهم لا يتستمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فمضى نهب لهم وطعمة لاكلهم يرذدون عليها الغارة والنهب والرحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

فصل في ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشيّة باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلفا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيد من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والقلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا حاجتهم اليه لنصبه انا في للقدور فينقلونه من المباني ويخربونها عايد وبعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء
الذى هو اصل العمران هذا فى حالهم على العموم وايضا
فطبيعتهم انتهاب ما فى ايدي الناس وان رزقهم فى
ظلال رباحهم وليس عندهم فى اخذ اموال الناس حدّ ينتهون
اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون
انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب او الملك
بطلت السياسة فى حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا
فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم
لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والشئ والاعمال كما
سندكرة هى اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال
وصارت مجانا ضعفت الآمال فى المكاسب وانقبضت الايدي
عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم
ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفسد ودفاع
بعضهم عن بعض انما عنتهم (1) ما باخذوند من اموال الناس نهبا
او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما
بعده من تسديد احوالهم والنظر فى مصالحهم وقهر بعضهم
عن اعراض المفسد وربيا فرضوا العقوبات فى الاموال حرصا
على تحصيل الفائدة والجبابة والاستكثار منها كما هو
شأنهم وذلك ليس بمعنى فى دفع المفسد وزجر المتعرض

(1) Man. A. et B. همهم C.

لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال العزم في جانب
 حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون
 حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعميران بما ذكرناه
 من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم
 واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم
 متنافسون في الرئاسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره
 ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره
 من اجل الحياء فيتعدد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدي
 على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض
 قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج
 واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته
 بظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان
 من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانهم واقفر ساكنه وبدلت
 الارض فيه غير الارض فاليمين قرارهم خراب الا قليلا من
 الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان
 للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب
 لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة
 ونمرسوا بها لثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقا بها
 وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان
 والبحر الرومي كله عمراننا يشهد بذلك آثار العمران فيه

من العالم وتمائيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل فى ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)

دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين

على الجملة

والسبب فى ذلك انهم لخلق التوحش الذى فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
فى الرياسة فقل ما تجتمع اهاوهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين الیذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبى او الولى الذى يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
ويأخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لاطهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والهلك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبرانها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعانة المتهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده
عها ينطبع فى النفس من قبيح العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man B et D. صيغة. C.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم
 فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الهلك
 والسبب في ذلك انهم اكثر بدابة من ساير الامم وابعد
 مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلؤل وحبوبها لاعتيادهم
 الشطف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
 بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورؤسهم محتاج اليهم
 غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
 ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبية فيكون
 فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الهلك والسلطان تقتضى
 ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
 فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدى الناس خاصة
 والتجافى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
 عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
 باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
 بينهم وربما جعلوا العقوبات على الهفاسد فى الاموال حرصا
 على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك
 وازعا وربما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على الهفاسد
 واستهانة ما يعطى من ماله فى جانب عرضه فتنمو الهفاسد
 بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى
 مستطيلة ايدى بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران

ويخرب سريعا شأن الفوضى كما قدّمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبديلها بصيغة (1) دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيّد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم لما راي المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا اند للخلفاء وهم من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وامتحا رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليه العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم انهم كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد من الامم في الخليفة ما كان لاجيالهم من الهلك ودول عاد ونهمود والعمالقة وحمير والتتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مصر في

(1) Man. B. et D. صيغة C.

الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم عهد بالسياسة لما
نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى
الغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته الا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله خير الوارثين

PROF. GOMIS
d'Ebn-Khaldoun

فصل فى ان البوادي من القبائل والعصايب مغلوبون لاهل الامصار

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر
والامصار لان الامور الضرورية فى العمران ليس كلها موجودا
لاهل البدو وانما يوجد لديهم وفى مواطنهم امور الفلاح
وموادها معدومة ومعظمها الصنایع فلا يوجد لديهم بالكلية من
تجار وخطاط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفلاح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة
لديهم وانها بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان
او فضلائه البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل
الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى
الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم فى الحاجى
والكفاي فهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى بطبيعة
وجودهم فيها داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء

على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ومتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونسوخ استبداد من بعض اهلها على الباقيين والا انتقض عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيع لهم ما يحتاجون اليه من الضرورات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تبت قدرته على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له فريق منهم يغالب به الباقيين فيضطر الاخرين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم ورتبا لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل النواحي والجهات معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرهم فلا يجمد هؤلاء ما جاء الا طاعة الهصر واهله فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله القاهر فوق عباده لا رب غيره ولا معبود سواه

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين) وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والهلك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قررنا في الفصل الاول ان المغالبة
والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة
والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك
منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية
والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا
وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع الهازعة
وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع
الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور
بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدول منذ
اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد
جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب
الدولة قد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء
عن العصبية في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من
اوله وما لقي اولهم من المتاعب دوند وخصوصا اهل الاندلس
في نسيان هذه العصبية وانرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب

عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخطا من العصايب والله
قادر على ما يشاء

فصل فى انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى
عن العصبية

والسبب فى ذلك ان الدول العامة فى اولها يصعب على
النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان
الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
فى اهل النصاب المخصوص بالملك فى الدولة وتوارثوه
واحدا بعد اخر فى اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت
النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة
الرياسة ورسخ فى العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس
معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا
حينئذ فى امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من
الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا امر ما يوضع الكلام فى الامامة آخر
الكلام فى العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما
بالدوالى والمصطنعين الذين نشؤا فى ظل العصبية (1) وغيرها واما
بالعصايب الخارجيين عن نسبها الداخلين فى ولايتها ومثل

(1) غيرها. Man. A. B. D.

هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالى العجم والترك والديلم والساجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم يكن نعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصارت الخلايف في حكمهم ثم انقرض امرهم وملك الساجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف اخر الطغر فقتلوا الخليفة ومحووا رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ الماية الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجانية والقلعة وسائر ثعور افرىقية وربما انترى بتلك الشغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها وبنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانترى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بالقباب الملك ولبسوا شارانه وامنوا ممن ينقض ذلك عليهم او بغيره لان الاندلس ليست بدار

عصايب ولا قبائل كما سنذكره واستمرّ لهم ذلك كما
قال ابن شرف

مهايزه دني في ارض اندلس اسما معنصم فيها ومعنصم
الغاب مملكة في غير موضعها كالمترى يحكى انفاخا صورة الاسد

فاستظهروا على امرهم بالهوالى والمصطنعين والطرء على
الاندلس من ارض العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم
اقتداء بالدولة في آخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت
عصبية العرب استبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول
عظيمة اسبب كل واحد فيها بجانب من الاندلس وحظ كبير من
الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزلوا في سلطانهم
ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من
لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحو اثارهم ولم يقدروا
على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فهذه العصبية يكون
تمهيد الدولة وحماتها من اولها (وقد ظن الطرطوشى ان
حامية (1) الدول باطلاقهم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة
ذكر ذلك في كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه
لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص
بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك فى النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدول عند هرمها

(1) حاشية D. حامية B. et A. Man. (1)

وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالهوالى والصنایع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بنى امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان فى ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبية شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثاية من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقيت العصبية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشى القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى انه قد نحدث لبعض اهل النصاب الملكى
دولة تستغنى عن العصبية

وذلك انه اذا كان لعصبته غلب كبير على الامم والاجيال وفى نفوس القاييين باسره من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا باسره وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد

دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد اعياصه ولا يطمعون في مشاركته في شى من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحکم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية اسنقرت في الاذعان لهم فلو راموا معه او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدى آل العباس بعد ان استحکمت الصبغة لبنى عبد مناف لبنى امية اولا ثم لبنى هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقاموا بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاروية ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشيدوا دولتهم ومهدوا بعصايبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم ينزل ظل الدولة يتفلس وظل العبيديين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلمة وهؤلاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مدعون لملكهم وانما كانوا ينافسون في الرتبة ضدّهم خاصة نسليما لما حصل من صبغة الملك لبنى هاشم ولما استحکم من الغلب لتريش ومضر على ساير الامم فلم ينزل الملك في اعقابهم الى

انقراض دولة العرب باسرها والله يحكم لا معقب
لحكمه

PROLÉGOMÈNES
d'Eb. Khaldoun.

فصل في ان الدول العامّة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها
الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما
يكون بالعصبية واتفاق الالهواء على المطالبة وجمع القلوب
وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقت ما في الارض جميعا ما آفت بين قلوبهم وسره
ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا
حصل التنافس وفيما الخلاف واذا انصرفت الى الحق
ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها
فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والندعاضد
وانسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدول كما نبين
لك بعد

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة
على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب
بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة

الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى امرهم لم يقف لهم شىء لان الوجهة واحدة والى المطلوب متساو عند جميعهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التى هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فان اغراضهم متباينة بالباطل ونخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدّمناه وهذا كما وقع للعرب فى صدر الاسلام فى الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا فى كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا فى دولة لمتونة ودولة الموحيدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير مما يقاومهم فى العدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجتماع الدينى ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماناة كما فلناه فلم يقف لهم شىء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقص الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فيغلب الدولة من كان تحت يدها من العصايب المكافية لها او الزايدة القوة عليها الذين غلبتهم بضعافة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها او اشدّ بدواة واعتبر هذا فى

الموحدين مع زناة لما كان زناة ابدا من المصامدة واشهد
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية بانباغ المهدي فلبسوا
عبيتها وتضاعف قوة عصبيتهم بها فغابوا على زناة اولاً
واستبعوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة اشد منهم
فلما حالوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناة
من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه والله غالب على
امره

فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا نتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بد
له من العصبية وفي الحديث كما مر ما بعث الله نبيا
الا في منفعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى
الناس بخرق العوايد فيما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له
العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي
شيخ المتصوفة وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف
ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين
فبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا بشغل لبتونة بما
دمهم من امر الموحدين ولم يكن هناك عصايب ولا قبائل
يدفعونه عن شمائه فلم يلبث حتى استولى الموحدون على
المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم بايعهم من معقله

بحصن اركش وامكنهم من ثغرة وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين (ومن) هذا الباب احوال الثوار القاييين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعيين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والتهلبسون بهم من الغوغاء والدهما ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهلك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها وبهدم بناها الا المطالبة القوية التي من ورايها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصايب والعشائر وهم المويّدون من الله لو شاء لا تبدهم بالكون كله لكنه انما اجري الامور بحكمته على مستقر العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدر ان تعوقه العوايق وينقطع

به الهلاك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانتة والاخلاص له
والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد
حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطاء المامون بخراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلی بن موسى الرضى من آل
الحسين فكشف بنو العباس وجه التكبر (1) عليه وتداعوا للقيام
وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدى فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدى الدعارة بها
من الشطار والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا
السبيل وامتلات ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية
فى الاسواق واستعدا اهلها الحكام فلم يعدوهم فتواصر اهل
الدين والصالح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدربوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الدعارة وغلبهم
واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل (ثم) قام من بعده رجل
اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصارى
ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا فى عنقه ودعا الى الامر
بالمعروف النهى عن المنكر والعمل بكتاب الله وستة نبية

(1) Man D. التكبر.

فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم
فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد
ومنع كل من اخاف (1) المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار
وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له
سهل لكتي اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من
كان وذلك سنة احدى ومايتين وجهاز ابراهيم بن المهدي
اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريرا وذهب ونجا
بدا نفسه (ثم) اقتداه بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين
ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون في
اقامته من العصبية ولا يشعرون بهغبة امرهم ومال احوالهم
والذي يحتاج اليه في امره هولا اما المداواة ان كانوا من اهل
الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا
واما اذاعة (2) السخرياء منهم وعدهم في جملة الصناعين (3)
(وقد) ينتسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما باذنه هو او
داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما
هو واكثر المنتحلين لمثل هذا نجدهم موسوسين او مجانيين
او ملبسين (4) يطلبون بمثل هذا الدعوى رياسة امتلاءت
بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشي من اسبابها

(1) Man. A. et B. اصافى

(2) Man. C. ازاغة.

(3) Man. A. et C. الصباعين D. الصغاعين.

(4) Man. C. ملبسين D. ملبسين.

العاديّه فيحسبون ان هذا من لاسباب البالغة بهم الى ما
يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم من الهلكة فيسرع
اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لاول هذه الماية خرج بالسوس رجل من المتصوّفة
يدعى التويزرى عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر
هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبسا على العمامة
هنالك بما ملاء قلوبهم من الحدثنان بانتظاره وان من
ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهافت عليه طوائف من
عامّة البربر تهافت الفراش ثم خشى رؤساوهم اتساع نطاق
الفتنة فدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوى من
قتله فى فراشه (وكذلك) خرج فى غمارة لاول هذه الماية
ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى واتبع
نعيقه الارذلون من سفهاء نلك القبائل وغمارهم وزحف الى
بادس من امصارهم فدخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من
ظهور دعوته ومضى فى الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير
والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية فى مثلها واما ان
كان التلبيس فاحرى ان لا يتم له امر وان يبوء بائمه وذلك
جزء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان
لا تزيد عليها

والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القايمين بها
المتهدين لها لا بد من توزيعهم حصصا على الممالك والشعور
التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت
العصائب كلهم على الشعور والممالك فلا بد من نفاذ
عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون نغرا للدولة
وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد
ذلك زيادة على ما بيدها بقى دون حامية وكان موضعها
لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما
كانت العصابة موفورة ولم ينفذ عددهم فى توزيع الحصص
على الشعور والنواحي بقى فى الدولة قوة على تناول ما وراء
الغاية حتى ينفسخ نطاقها الى غايته والعلّة الطبيعىة فى
ذلك ان قوة العصبية هى من ساير القوى الطبيعىة وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشانها ذلك فى فعلها
والدولة فى مركزها اشدّ مما تكون فى الطرف والنطاق واذا
انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وقصرت عما

وراءه شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المراكز والدواير المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان يتأذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تصحج لوقتها فان المركز كالقلب الذي ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف (وانظر) هذا في الدولة الفارسية فان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقراض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقى بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبيهم المسلمون على الشام تحيَّزوا الى مراكزهم بالقسطنطينية ولم يضرمهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان تأذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة والافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والشعور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

نلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تآذن الله بانقراضها
وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة
القايمين بها في القلّة والكثرة عند نفاذ عددهم بالتوزيع
بنقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

فصل في ان عظم الدولة وأنساع نطاقها وطول امدها على
نسبة القايمين بها في القلّة والكثرة

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل
العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها
ويقتسمون عليها فيما كان من الدول العامة قبيلها واهل
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر مهالك واوطانا وكان ملكها
اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لها الف الف الله
كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك
آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرين (1)
الف من مصر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم
سهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي
الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى
فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم
والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس

(1) عشرة آلاف. Man. C. et D.

وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليهن الى الترتك
 باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة (ثم) انظر بعد
 ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما
 كان قبيل كتامة الفايين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة
 ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فملكوا افريقية والمغرب
 والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما
 كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك
 الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم
 (ثم) اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بنى
 مريين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مريين لاول ملكهم
 اكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع
 نطاقا وكان لهم عليها الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد
 بنى مريين لاول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف وان عدد بنى عبد
 الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرغد وكثرة التابع كثرت من
 اعدادهم وهي على هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول
 الملك يكون اتساع الدولة وقوتها (واما) طول امدها ايضا
 فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج
 الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج
 نابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هي بكثرة العدد
 ووفوره كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص

انما يبدا الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المتبذون بالاندلس ولم ينتقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن نقل يد معتمد المعز امر افريقية لباكين بن زيري سنة ثمان وخمسين ونشأية الى حين استيلاء الموحيدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحيدين لهذا العهد ناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة الغاييين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصايب قل
ان تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان وراء كل رأى منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها

منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ
 اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من
 البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول
 الذى كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الفرنجة شيا وعاودوا
 بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثنان من
 المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة
 والخروج والاخذ بدبى الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي
 زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثني عشر مرة ولم تستقر كلمة
 الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا
 معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقية مفرقة
 لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب والقبائل
 الجامل لهم على عدم الادعان والانقياد ولم يكن العراق
 لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها
 من فارس والروم والكافة دهاء (1) اهل مدن وامصار فلما غلبهم
 المسلمون على الامر وانتزعوهم من ايديهم لم يبق ممانع ولا
 مشاقق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم
 بادية واهل عصايب وعشاير وكلها هلكت قبيلة عادت
 الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر
 العرب فى تهديد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك

(1) Man A et B. وهما.

كان الأمر بالشام لعهد بنى اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبنى عيصو وبنى مدين وبنى لوط وادوم ودارمن والعمالقة واكريكش (1) والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا فى العصبية فصعب على بنى اسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلّفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موثّد ساير ايامهم الى ان غابهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر امرهم عند الجلا والله غالب على امرة وبعكس هذا ايضا الاوطان الخلوّة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها وبكون سلطانها وادعا لقلّة الهرج والانتقاض ولا يحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن فى مصر والشام لهذا العهد اذ هى خلوة من القبائل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر فى غاية الدعء والرسوخ لقلّة الخوارج واهل العصايب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسى من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن احمر سلطانها

(1) Man D. الرنطس
TOME I.

لم تكن لاول دولتهم بقوة ولا كانت لها كثرة انما كانوا
اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا من
ذلك القل وذلك ان اهل الاندلس لما انقضت الدولة
العربية منهم وملكها البربر من لمتونة والموحدين سيموا
ملكتهم ونفذت وطأئها عليهم فاشربت القلوب
بغضاهم ونكراهم وامكن الموحدون السادة في آخر الدولة
كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار بهم على
سنانهم من نملك حضرة مراکش فاجتمع من كان بقى بها
من اهل العصبية الغديية معادن من بيوت العرب تجافى
بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشيء ورسوخا في
الجندقة مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مرذئيش فقام ابن
هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحصل
الناس على الخروج على الموحدين فبذوا اليهم العهد واحرجوهم
واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سها ابن الاحمر للامر
وحال ابن هود في دعوتة فدعا هولابن ابي حفص صاحب
افريقية من الموحدين وفام بالامر وناوله بعصاية قليلة من
مرابند كانوا يستمونهم الرؤساء ولم يحتج لكثر منها لقائة
العصايب بالاندلس وانها سلطان ورعية (ثم) استظهروا بعد
ذلك على الطاغية بمن يجيز اليد البحر من اعياص زبانة
فصاروا معد عصبة على الشاغرة والرباط ثم سها لصاحب

المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس وصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تأمل امره ورسخ والفته النفوس وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظن انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلّة العصايب والقبائل فيه يستغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوغل في الترف وايقار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلان المجد كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألّفة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخر كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى يصيرها جميعا في ضمناها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبية العائمة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يفع منها مزاج اصلا بل لا بدّ يكون واحد منها غالبا على الاخر ويغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لا بدّ ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى نجعلها ونولقها

وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته جميعها واذا تعين له ذلك (ومن) الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استباعهم والتحكم فيهم ويحجى خلق البالد الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا فيجدع حينئذ انوف العصبيات ويكبح شكايهم عن ان يسموا الى مشاركته في التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر ناقة ولا جهلا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم للثاني او الثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول سنة الله في عباده (واما) التوغل في العرف فلان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزنته وبذهبون الى انباء من قبلهم في عوايدهم واحوالهم

ويصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية وبتفاحرون في ذلك وبتفاحرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الاثيق وركوب الفاره وبتاغى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدول ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها ستة الله في خلقه (واما) ايثار الدعة والسكون فلان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها العلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعى اليها

عجبت لسعى الدهريين وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل نمرات الملك من الهباني والمساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا وبوترون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا ويالفون ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك ينزايد فيهم الى ان يتاذن الله بامرهم

فصل فى انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد
بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهم

وبيانه من وجوه الاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما
قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له
واحدا كانت همهم فى التغلب على الغير والذبّ عن الحوزة
اسوة فى طموحها وقوة شكايتها ومرماهم الى الغز جميع فهم
يستطيعون الموت فى بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على
فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيهم وكبح من
اعتتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغز (1) وفشل
ربحهم وربحوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثانى
على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان
لهم على الحماية والهعونة لا يجرى فى عقولهم سواه وقل ان
يسأجر احد نفسه على الهوت فيصير ذلك وهنا فى الدولة
وخضدا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف والهم
لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعة الهلك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم
وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير
منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك

(1) Mau. A. et B. الغزو.

في احيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنایع دولتهم فيضعفون هم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عنهم الجباية مقدارها معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من الكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحامية لذلك وتسقط قوة الدولة وتتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العصايب (1) والقبائل وينأذن الله فيها بالفناء الذي كنبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل

(1) Man. A. et B. العصبيات.

في النفس من الشر والسفسفة وعوايدها كما يأتي في فصل
الحضارة فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على
الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك
في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعضض احوالها
وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضى الدعة كما ذكرناه
وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة
وجبلت شأن العوايد كلها وايلافها فتربا احيالهم الحادثة في حضارة (1)
العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وبنسون
عوايد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود
الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر (2) فلا يفرق بينهم
وبين السوق من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعضض
حمايتهم ويذهب بأسهم وينخذد شركتهم وبعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون
تتلوثون (3) بعوايد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغرسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وبنساختون عنها شيئا فشيئا

(1) Man. A. et B. غصادة.

(3) Man. D. يتلوثون.

(2) Man. D. هوايد القفر

وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدولة التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ربة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجمع والشطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى ينادن الله فيها بامرء وهذا كما وقع في دولة الترك بالشرق فان غالب جندها الموالي من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك الهالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشطف من ابناء المياليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظلّه وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم وبترك اهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون

مائة وعشرون سنة وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الهة ما بين الستين الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرين الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغربية من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القرات الا ان الدولة في الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو غير شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذي هو انتهاء النمو والشمو الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويوبده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع لبني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل اخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل التي هي عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة في الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم ينزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة

والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرّفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى التسرف والنخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعى فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتتكسر سورة العصبية بعض الشيء ويونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم كثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وتراسيهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم سرك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب وبكوفون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غاية بما تنكوه من النعيم وعضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والنزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يهوهون بها وهم في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فنذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مر فى ان المجد والحسب انما هو فى اربعة آباء وقد ايناك فيه ببرهان طبيعى ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمله فلن يعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزبد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استربرت فى عدتهم وكانت السنوات الماضية منذ اولهم محصلة لديك

فعدّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الابداء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عند بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدر الليل والنهار

فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيّة للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هي تفتن في الترف واحكام الصنایع المسمعة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والهبانى والفرش والآنية وسائر عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنایع في استجاداته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعّم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون (ومثل) هذا

وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد فى شىء من الحصاره فقد حكى انه قدم لهم المرفق فكانوا يحسبونہ رقاعا وعثروا على الكافور فى خزائن كسرى فاستعملوه فى عجينهم ماسحا وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم فى مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة فى امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفتن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتن فى احواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحصاره والشرف فى الاحوال واستجدادة الطاعم المشارب والملابس والمباني والاساحة والفرش والآنية والغنا وساير الماعون والخزنى وكذا احوالهم فى ايام المباحاة والولايم وليالى الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية (وانظر) ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما فى اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه فى خطبتها الى داره بقم الصالح وركب اليها فى السفين وما انفق فى املاكها وما نحلها المامون وانفق فى عرسها نفق من ذلك على العجب (فمنه) ان الحسن ابن سهل نشر يوم الاملاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المامون فنشر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة على

الرقاع؛ بالضياع والفقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اذاه اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك (ومنه) ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصة من الياقوت واوقد شموع الغبير في كل واحدة مائة من وهو رطل وتلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت وقال المامون حين رآه قابل الله ابا نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغيرى وكبرى من فواقعها حسباً تر على ارض من الذهب

واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدة عام كامل ثلث مرات في كل يوم وفنى الحطب لليتذ واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النوازية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله (وكذلك) عرس الهامون بن ذى النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من

البدواة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختان ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولايم الفرس وقال له اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال نعم ايها الامير شهدت بعض مرازية كسرى قد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على اخونه الفضة اربعا على كل واحد وبجمله اربع وصايف وبجلس عليه اربع من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المايذة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام اتحرر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت (ومن هذا الباب) اعطية بنى امية وجوابزهم فانما كان اكثرها اابل اخذا بمذاهب العرب وبدواتهم ثم كانت الجوابز في دولة بنى العباس والعبيديين ومن بعدهم ما علمت من احمال المال وتخوت الشياب واعداد الخيل بهراكبها وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبة بافريقية وبنى طنج بمصر وشأن لمتونة مع ملوك الطرايف بالاندلس واليوحدين كذلك وشأن زنانة مع الموحيدين وحلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى امية وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى امية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحيدين وزنانة لهذا العهد وانتقلت حضارة

بنى العباس الى الديلم ثم الى الترتك السلجوقية ثم الى الترتك بمصر موالى بنى ايوب والى التتار بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها فى الحاضرة اذ امور الحاضرة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه تحده صحيحا فى العمران والدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الترف يزيد الدولة فى اولها قوة الى قوتها

والسبب فى ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا ايضا من الموالى والصنایع وربيت اجيالهم فى جو ذلك النعيم والرّفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصایب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب الجيل الاول والثانى واخذت الدولة فى الهم لم يستقل اولئك الصنایع والموالى بانفسهم فى تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانتهم ليس لهم من الامر شى انما كانوا عيالا على اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة (واعتبر) هذا بما وقع فى الدولة العربية فى الاسلام كان عدد

العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا او ما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنایع بلغ ذلك العدد الى اضعافه (يقال) ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذ اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المأمون للانفاق عليهم وكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذى حصل للدولة وربى فيه اجيالهم ولا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم:

فصل فى اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها فى
البداءة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنتقل فى اطوار مختلفة وحالات متجددة وبكسب القايهون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لهزاج الحال الذى هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو

في الغالب خمسة (الأول) طور الظفر وغلب المدافع والمهاتن والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها (الطور الثاني) طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنایع والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبيته وعشيرته اليقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدّهم عن موارد ويردّهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر واشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراوهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب ولا يظاهرة على مدافعتهم الا الاقل من الابعاد فيركب صعبا من الامر (الطور الثالث) طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثام وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في

الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها
وتشييد الهباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة
والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الاسم ووجوه
القبائل وبت المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنايعه
وحاشيته في احوالهم بالمال والسجاء واعتراض (1) جنوده وادرار
ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر
ذلك عليهم في ملاسهم وزيتهم وشكتهم ايام الزينة فيباهي
بهم الدول المسالمة وبرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر
اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم في هذه الاطوار
كلها مستقلون بارايهم بانون لعزمهم موضعون الطرق لمن
بعدهم (الطور الرابع) طور القنوع والسالية ويكون صاحب
الدولة في هذا قانعا بما بنا اولوه سلما لانظاره من الملوك
واقناله مقلدا للماضين من سلفه يتبع آثارهم حذو النعل بالنعل
وبقتفى طرقهم باحسن مناج الاقتداء ويرى ان في الخروج
عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بها بنوا من مجده
(الطور الخامس) طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة
في هذا الطور متلغا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات
والملاذ والكرم على بطانتها وفي مجالسها واصطناع اخدان
السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون

(1) Mau A. et B. اعراض.

بحملها ولا يعرفون ما يابون وما يذرون منها مستفسدا لكبار
الاولياء من قومه وصنابع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا
عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق اعطيانهم في شهبائه
وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقدته فيكون مخربا لها كان
سلفه يوتسون وهادما لما كانوا بينون وفي هذا الطور يحصل
في الدولة طبيعة الهرم وبستولى عليها المرض المزمن
الذى لا يكاد يخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان
نقرض كما نبينه في الاحوال التى نسردها والله خير الرازيين

فصل فى ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها

والسبب فى ذلك ان الآثار انما نحدث عن القوة التى
بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك سباني
الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة
فى اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على
العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب
كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من
آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا
نرى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران عنها وانظر
بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعترم
الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه

العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقنطرة التى على واديهها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القناة الراكبة عليها وآنار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف : واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انها كانت بالهندام وباجتياح النعلة وكثرة الايدى عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما نتوقه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين فى ذلك اخبارا عريقة فى الكذب من اغربها ما يحكون من عوج بن عناق رجل من العمالقة (1) الذين قاتلهم بنو اسرئيل فى الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر وبشويه فى الشمس ويزبدون الى جهلهم باحوال البشر الجاهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان

(1) Man.A et B. الكنعانيين.

للسمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان
الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسه
فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحب
وانما السمس فى نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط
مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكروه
من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل
عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجثمانهم لذلك
العهد قريب من هياكلنا تشهد لذلك ابواب بيت
المقدس فانها وان خربت وجددت لم تنزل المحافظة على
اسكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج
وبمين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلظهم فى هذا
انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول فى الاجتهاد
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة
فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس
الامر كذلك (وقد) زعم السعوى ونقله من الفلاسفة
مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التى هى جيلة
الاجسام لما براء الله الخلق كانت فى تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال

تلك الطبيعة فان طرء الهوت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية شأنه تام الاعمار كامل الاجسام ثم ليم ينزل يتناقص لنقصان المادة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا ينزل يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجد له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين ابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن كديار نمود المنحونة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابا ضيقة وقد اشار النبي صلى الله عليه الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مبانيهم وطرح ما عجن به واهرق وقال لا ندخلها مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان نكونوا باكن ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بفاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن آثار الدول ايضا حالها في العراصة والولايم كما ذكرناه في وليدة بوران وصنيع الحجاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كله (ومن) آبارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها وبظهور ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان الهرم التي كامل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهرم لا ينزل مصاحبة لهم الى انقراض الدليل واعتبر ذلك بجواب ابن ذي نون لو قد فرغ من كيف

اعطاهم من ابطال الذهب والفضة والاعبد والوصايف عشرا
عشرا ومن كرش العنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله
لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت
استبداد فارس وانما حملة على ذلك همة نفسه بما كان
لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في
العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيين بافريقية ايضا
اذا اجازوا الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم
المال احمالا والكساء تخوتا مهلوة والحملان جنائب (1)
عديدة (وفى) تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
(وكذلك) كان عطاء البرامكة وجوايزهم ونفقاتهم وكانوا اذا
اكسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر
لا العطاء الذى يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم فى
ذلك كثيرة مسطورة وهى كلها على نسبة الدول جارية
(وهذا) جوهر الصقلبي الكاتب قائد جيش العبيديين لها
ارتحل الى فتح مصر استعداد من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهى اليوم دولة الى مثل هذا (وكذلك) وجد
بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى
بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع النواحي ونقلته
من كتاب جراب الدولة (غلات) السواد سبعة وعشرون

(1) Man. A. et B. حقايب

الف الف درهم مكررة مرتين وسبعماية الف درهم وثمانون
الف درهم (ابواب) المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم
مرتين وثمان مائة الف درهم مرة ومن الحلل النجرائية مايتا
حلة (1) ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا (كسكر)
احد عشر الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة
(كوردجلة) عشرون الف الف درهم مرتين وثمان مائة الف
درهم مرة (الاهواز) خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن
السكر ثلاثون الف رطل (فارس) سبعة وعشرون الف الف
درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب (2)
الاسود عشرون الف رطل (كرمان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين ومايتا الف درهم مرة ومن المتاع الياني خمسمائة
نوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكيون الف رطل
(مكران) اربعماية الف درهم مرة (السند) وما يليه احد عشر
الف الف درهم وخمسمائة الف درهم مرة ومن العود الهندي
مائة وخمسون رطلا (سجستان) اربعة آلاف الف درهم مرتين
ومن الشياب المعقبة ثلثمائة ثوب ومن الفانيد عشرون الف
رطل (خراسان) ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن
نقر الفضة الفا نقرة (3) ومن البراذين اربعة آلاف دابة ومن

(1) Le m. A. et le m. B. ajoutent ثنتان (3) Man. A. et B ajoutent اثنان

(2) Man. A. et B. الزيت.

الرقيق الف راس ومن الثياب سبعة وعشرون الف ثوب
ومن الاهلياج ثلاثة آلاف رطل (جرجان) اثنا عشر الف الف
درهم مرتين ومن الابريسم الف شقة (قوسس) الف الف درهم
مرتين وخمسمائة الف ومن نقر الفضة الف (طبرستان)
والرويان ونهاوند ستة آلاف الف درهم مرتين وثلاثمائة الف
ومن الفرش الطبرية ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ثنتان
ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثمائة ومن
الجمامات ثلاثمائة (الري) اثنا عشر الف الف درهم مرتين
ومن العسل عشرون الف رطل (همدان) احد عشر الف
الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم مرة ومن رُب
الروانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل (مابين)
البصرة والكوفة عشرة آلاف الف درهم وسبعماية الف درهم
(ماسبدان) والربان اربعة آلاف الف درهم مرتين (شهرزور)
ستة آلاف الف درهم مرتين (الموصل) وما يليها اربعة
وعشرون الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون الف رطل (اذربيجان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين (الجزيرة) وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلاثون
الف الف درهم مرتين (الكرج) ثلاثمائة الف درهم مرة
(كيلان) خمسة آلاف الف درهم مرتين ومن الرقيق الف
راس ومن العسل اثنا عشر الف رطل ومن البزاة عشرة ومن

الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف الف درهم مرتين
ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم خمسمائة وثمانون
رطلا ومن المايح (1) السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الطريح
عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ثنتان ومن البزاة
ثلاثون (قسرين) اربعمائة الف دينار وعشرون الف دينار
ومن الزبيب الف حمل (دمشق) اربعمائة الف دينار وعشرون
الف دينار (الأردن) ستة وتسعون الف دينار (فلسطين) ثلثمائة
الف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة الف رطل
مصر) الف دينار اثنان مرتين وتسعمائة الف دينار
وعشرون الف دينار (برقة) الف الف درهم مرتين (أفريقية)
ثلاثة عشر الف الف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون
(اليمن) ثلثمائة الف دينار وسبعون الف دينار سوى المتاع
(الحجاز) ثلثمائة الف دينار (وأما الأندلس) فالذي ذكره
الثقات من مؤرخيها ان الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك
بنى امية المتلقب بلقب الخلافة ترك في بيوت اموالده
عند الوفاة خمسة آلاف الف دينار مكررة مرتين يكون جهلتها
بالتناظر خمسمائة قطار (ورابت) في بعض تواريخ الرشيد ان
السحبول الى بيت المال في ايامه سبعة آلاف قطار من
دنانير الذهب وخمسمائة قطار في كل سنة (وأما دولة

(1) Man. A. المسامح. H. man. D.

العبيديين) فرايت في تاريخ ابن خلكان عند ما ذكر
الأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي الهستبي على خلفائهم
بمصر انه لما قتل وجد في خزانته ستمائة الف الف
دينار مكررة مرتين ومايتان وخمسون اردبا من الدراهم وما
يناسب ذلك من ذخاير الفصوص واللآلى والاقهشة والامتعة
والمراكب والحمولة (واما) هذه الدول الحادثة التي ادركناها
فاعظمها دولة الترك بمصر وكان استفحالها ايام الناصر
محمد بن قلاوون منهم وغلب عليه لاول دولته الاميران
بيبرس وسلار ثم خلعه بيبرس واستبد بكرسيه وسلار
رديف له فلما انتزع الناصر الملك من يده ونكب بعد
مدة رديفه سلار واستصفي ذخيرته فوقفت على جريدة
احصايتها ومنها نقلت من الياقوت البرهمانى والباسخش
اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص
الماس وعين الهر ثلثمائة قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة
رطلان ومن اللؤلؤ المدور من زنة مثقال الى وزن حبة الف
وماية وخمسون حبة ومن الذهب العين الف الف دينار
مكررة مرتين واربعماية الف مرة وفسقية مملوءة بالذهب
صبيبا واكياس مملوءة ذهبا استخرجت من بين حايطين
ولم يعلم عدتها ومن الدراهم الفا الف اثنان مكررة مرتين
واحد وسبعون الفا ومن الحلى المصاغ اربعة قناطير الى ما

يناسب ذلك من الاقهشة والامتعة والمراكب والظهر والغلال
والسايمة والمهاليك والجواري والعقار (وبعدها) دولة بنى
ميرين بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة فى خزانة
ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون بن البواق ان
مخلف السلطان ابي سعيد بيت ماله سبعمائة قنطار
ونيف من دنانير الذهب وفى موجوده مما سوى ذلك ما
يناسبه وكان السلطان ابي الحسن ابنه من بعده اكثر من
ذلك (ولما) استولى على تلمسان وجد فى ذخاير سلطانها
ابى تاشفين من ملوك بنى عبد الواد ثلثمائة قنطار ونيف
من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى ما يناسب ذلك
مما سواه (واما) ملوك افريقية الموحدين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قائده وانايبك عساكره
محمد بن الحكيم فاستشفى منه اربعين قنطارا من دنانير
الذهب ومد من النصوص واللالى ونهب من فرش بيوته
فريب من ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتهلكات
(وحضرت) بمصر ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق وقد
نكب استدارة الامير محمود وصادره فاخبرنى سنولى
مصادرتة ان مبلغ ما استشفى منه من الذهب الف الف
دينار مكررة مرتين وستماية الف الف دينار مرة واما ما سوى
ذلك من الاقهشة والمراكب والانعام والغلال والظهر فعلى

نسبة ذلك (فاعتبر) ذلك في نسبة الدول بعضها الى بعض ولا تنكرون ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرت شى من امثاله فتضيق حوصلتك عن ملتقط المهكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى امية والعبيديتين وقايسنا الصحيح من ذلك والذي لا نشك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت فى اصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الاصل فى القوة كما قدّمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال فى غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يالحق بالمستفيض واليتوانر وفيها المعايير والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ (1) من الاحوال المنقولة مرانب الدول فى قوتها او ضعفها وخصامتها وصغرها واعتبر ذلك بما نقصته عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان ابى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة

(1) يتخذ. D. فخذ. A. et B. Man. (1)

طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند وباتى من احواله بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن واريت انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سأل عن اللحم التي كان يفتدى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه فيقول اين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفار وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدّمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيناً على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدّاً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا اصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في (1) نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زد لي علماً

(1) Man. C. et D. من.

فصل فى استظهار صاحب الدولة على قومه واهل
عصبته بالموالى والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم
عصابتهم وظهراؤه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته
ومنهم يقلد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاؤه فى الامر ومساهموه فى ساير
مهماته هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور
الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه
بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدايد واحتجاج فى
مدافعتهم عن الامر وصددهم عن المشاركة الى اولياء اخرين
من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب عليه من سايرهم وانحصر به قريبا واصطناعا واولى
ايشارا وجاها لما انهم يستميتون دونه فى مدافعة قومه عن
الامر الذى كان لهم والرتبة التى القوها فى مشاركتهم
فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة
والايشار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجبابة وما يختص به لنفسه
وبكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم
حينئذ اولياء الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ

مؤذن باهتمام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل
الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فبسطغون عليه
وبترقصون به الدواير وبعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب
الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بنى امية
كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال
العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن
زياد بن ابي سفيان والحجاج ابن يوسف والمهلب بن
ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابى هبيرة وموسى
ابن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي مرسى الاشعري ونصر بن
سيار وامثالهم من رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد
بالمجد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة
للعجم والصنایع من البرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وبنى طاهر ثم بنى بويه وموالي الترك مثل بغا ووصيف
وانامش وباكياك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من
موالي العجم فتصير الدولة لغير من مهدها والعز لغير من
اجتلبه سنة الله في عبادة

فصل فى احوال الموالى والمصطنعين فى الدول

علم ان المصطنعين فى الدول يتفاوتون فى الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم فى الالتحام بصاحبها والسبب فى ذلك ان المقصود فى العصبية من الهدافة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر فى ذوى الارحام والقربى والتخاذل فى الاجانب والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهتى والمعنى كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة وطول الممارسة والصحة بالمربا والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر فى الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وان لم يكن نسبا فثمرات النسب موجودة فان كانت الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتها اوشج وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة فى حالهم فلا يتهيز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوى قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد

عن الهوى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تمييز الرتب وتفاوتها فتتيز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثانى ان الاصطناع قبل الهلك يبعد اهله عن الدولة بطول الزمن ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بها فى الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى فى معرفته الاكثر فتبين اللحمة وتتيز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اسد التحاما به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الهلك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة فى آخر امرها ترجع الى اسعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه الهصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بساؤليتهم واشراف (1) الدولة على الانقراض فيكونون منحطين فى مهاوى الضعة وانما يحمل

(1) Man C et D. مشاركة.

صاحب الدولة على اصطناعهم وإعدول اليهم عن اوليائهم
 الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعترتهم في انفسهم من العزة
 على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله
 واهل نسبه لتاكّد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى
 والاتصال بأبائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته
 فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها
 صاحب الدولة وبعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد
 استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
 ويبقون على حالهم من الخارجيّة وهكذا شأن الدول في
 اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين
 واما هولاء المحدثون فخدم واعوان والله وليّ المؤمنين

فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

اذا استقرّ الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل
 القابيين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله
 بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب
 على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر
 ولاية صبي صغير او مضعف من اهل المنبت (1) يترشح
 للولاية بعد ابيه او يترشح ذويه ونحوه ويونس منه العجز

(1) Man. D. البيت.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله ويورى بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسيمه في مراعيها متى امكته وبنسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انها هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التمويل والعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي ومباشرة الاحوال الهلوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والبال والثغور انما هو للوزير وبسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويورثه عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبنى بويه والترك وكافور الاحشيدى وغيرهم بالمشرق وللمنصور ابن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المهجور المغلب لشانه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الهلك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب عليه اما بقتل او بدفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد

نسوا عهد الرجوليّة والفوا اخلاق الدايات والاطار وربوا عليها
فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انها
همهم في (1) القنوع بالابهة والنفتن في اللذات وانواع الترف وهذا
التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك
على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منها الا في الاقل
النادر والله يوتى ملكه من يشاء

فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في
اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة
بعصبة قومه وعصبته التي استتبعتهم حتى استحكمت
له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تنزل باقية وبها
انحفظ رسم الدولة ويقاوها وهذا المتغلب وان كان صاحب
عصبة من قبيل الملك او الموالي والصنایع فعصبة مندرجة
في عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس لها صبغة في الملك
وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع
نهرانه من الامر والنهي والحل والعقد والابرام والنقص يوهم
بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ في

(1) Man. A. et B. همهم القنوع.

ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات
الهلك وشاراته والقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة
بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده
ذلك بالحجاب الذى ضربه السلطان واولوه على انفسهم
من القبيل مذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرّض
لشئ من ذلك لنفسه غلبه اهل العصبية وقبيل الملك
وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة فى
ذلك تحملهم على التسليم له والانقياد فيهلك لاول وهلة
وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر
حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته فى لقب الخلافة ولم
يقنع بما قنع ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم
التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم
ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم
الخليفة هشام ابن محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا
عليهم وكان فى ذلك خراب دولة العامريين وهلاك
المويد خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى
آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

فصل فى حقيقة الملك واصنافه

الهلك منصب طبيعى للانسان لانا قد بينا ان البشر

لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم وإذا اجتبعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويأمنه الآخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية فى ذلك فيقع التنازع المفضى الى المقاتلة وهى تودى الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفضى ذلك الى انقطاع وهو مما خصه البررى تعالى بالمحافظة فاستحال بقاوهم فوضى دون حاكم ينزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الواع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد فى ذلك من العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والهدافات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف يتوجه نحوه الطلبات ويحتاج الى المدافات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصبية كما مرر والعصبية متفاوتة وكل عصبية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرتها وليس الملك لكل عصبية وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعد الرعية ويجبى الاموال ويبعث البعث ويحمى الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته فى المشهور فمن قصرت به

عصبية عن بعضها مثل حماية الثغور وجباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير
من ملوك البربر في دولة الاغالبة بالقيروان وملوك العجم
صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبية ايضا من
لاستعلاء على جميع العصبية والضرب على ساير الايدي
وكان فوقه حكم غيره فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته
وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم
دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق
اعنى يوجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون
بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزنانة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك
العجم في دولة بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع
الاسكندر وقوم اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله
القاهر فوق عباده

فصل في ان ارفاق الحد مضر بالملك ومفسد له
في الاكثر

اعلم ان مصالحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه
من حسن شكله او ملاحه وجهه او عظم جثمانه او اتساع

علمه او جودة خطه او ثقوب ذهنه انما مصالحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهى نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالک للرعية القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التى له من حيث اضافته اليهم هى التى تسمى الملكة وهى كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على انم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصالحة لهم فان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكاً لهم وبعود حسن الملكة الى الرفق فان اليك اذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقياً عن عورات الناس وتعيد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم واخلاقهم وربما خذلوه فى مواطن الحرب والمدافع ففسدت الحماية بفساد النيات وربما اجتمعوا قتله لذلك فتفسد الدولة وبخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا ففسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستهاتوا دونه فى محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب (واما) توابع

حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك واما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس فاكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل واقل ما في اليقظ انه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها بالهجة فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم (ومن) هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكاء وماخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال عزلتني يا امير الهومنين العجز ام لخيانة فقال له عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد ابن ابي سفيان وعمرو بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الهلكة وحمل الوجود على ما ليس في طبيعته كما ياتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في لجهود والظرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحجود هو التوسط كما في

الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبين وغير ذلك من الصفات الانسانية وبهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومُتَشَيِّطُن وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء

فصل في معنى الخلافة والامامة

لها كانت حقيقة الملك انه الاجتهاع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم لحمله اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهوانه ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجيئ الهضبة المفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسليها كافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من (1) مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله سبحانه وتعالى بشارع يقرها وبشرعها كانت سياسة دينية

(1) Man A. اختلقت B. اخلت الدولة في.

نافعة في الحياة الدنيا والآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله تعالى يقول افحسبتم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرايع تحملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الهلك الذي هو طبيعته للاجتماع الانساني فاجرتة على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو في مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بهقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بهصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عايدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم نرد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بهقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل

الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك طبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسة هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيها نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل في اختلاف الأمة في حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة واماما وسماه المتأخرون سلطانا حين فشا العدد فيه واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والافتداء به ولهذا يقال لامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلاف في تسميته خليفة الله فاجازه

بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ولان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب واما الحاضر فلا (ثم) ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابي بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذى وقع فانما هو قضاء بحكم العقل فيد قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم متفردين ومن ضرورة الاجتماع التنارع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لاحظ الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فسادها وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشر من

الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان
الوازع قد يكون بسطوة الهلك وقهر الشوكة ولو لم يكن شرع
كما في امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه
الدعوة او نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم
الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم ان ارتفاع النزاع انما يكون
بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الروساء اهل الشوكة او
بامتناع الناس عن التنازع والتظام فلا ينتهض دليلهم العقلي
المبنى على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما
هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس
فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب
عند هؤلاء امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء
مخوجون بالاجماع والذي حملهم على هذا الذهب انما هو
الفرار عن الملك ومذاهب من الاستطالة والتغلب والاستمتاع
بالدنيا لما راوا الشريعة ممتلية بذم ذلك والنعي على اهل
ومرغبة في رفضه (واعلم) ان الشرع لم يذم الهلك لذاته
ولا حظر القيام به وانما ذم الهفاسد الناشئة عنه من القهر
والظلم والتمتع باللذات ولا شك في ان هذه مفاسد محظورة

وهي من توابعه كما اتى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذبت عنه واوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذن انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذانه ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكليّة لداعيّة الضرورة اليهما وانما الهراء تصرّفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرها وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيئا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرّر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لائنين معا وعليه جمهور العلماء وقوفا مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك فى صحيح مسلم فى كتاب الامارة منه وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو فى البلد الواحد او فى حال تقاربهما

واما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز
نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين
نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين
ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من
آراء الاندلسيين والمغاربة الجنوح الى ذلك فقد كان العلماء
بالاندلس متواقرين وبايعوا لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن
منهم وابناءه بامير المؤمنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى
وكذا الموحدون بعدهم بالغرب وقد رّد بعضهم ذلك
بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه
الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اقعد بهركة الاجماع
نعم رّد على الامام الهازرى والنوى وقوا مع ظواهر الاحاديث
كما قلناه وربما احتج لذلك بعض المتأخرين بدليل التنازع
الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله
لفسدنا ولا ينهض الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان
دلائلها عقلية تبها الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا
باعتقاده بدليل عقلى فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب
الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم
الاستدلال بها الا ان يقرها شرعية بزيادة مقدمة اخرى
وهى ان التعدد ينشأ عنه الفساد ونحن ممنوعون مما يجزّ اليه
وبصير الاستدلال حينئذ شرعى والله اعلم (واما) شروط هذا

المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس
والاعضاء مما يؤثر في الراى (1) والعمل واختلف في شرط خامس
وهو النسب القرشى فاما اشتراط العلم فظاهر لانه اما يكون
منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه
لها ولا يكفى من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد
نقص والامامة تستدعى الكمال فى الاوصاف والاحوال واما
العدالة فلانه منصب دينى ينظر فى ساير المناصب التى هى
شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء
العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها
وفى انتفايها بالبدع الاعتقادية خدق واما الكفاية فهو ان
يكون جريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها
كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدهاء قويا
على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من
حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا
وتدبير الصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص
والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من
الاعضاء فى العمل كفقده اليدين والرجلين والانثيين فتشترط
السلامة منها كلها لتأثير ذلك فى تمام عمله وقيامه بما
جعل اليه وان كان انما يشين فى المنظر فقط كفقدان احدى

(1) Man. B et C. الراى. A. المرأى.

هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال (وبالتحق) بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يباحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يباحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة (واما) النسب القرشي فلاجهاع الصحابة يوم السفيفة على ذلك واحسجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وبنان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم وتتجاوز عن مسيكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فاجبوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في قريش وامثال هذه الادلة كثير الا انه لها ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبها انفقتهم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حيل الخلافة وتغلب عليهم

الاعاحم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير
 من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا
 على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا
 واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبينة وهذا لا تقوم به
 حجة في ذلك فانه خرج مخرج التشثيل والقرض للمبالغة في
 ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى
 ابي حذيفة حيا لوليته او لما داخلتني فيه الظنة وهو ايضا
 لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس
 بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاة حاصلة بسالم
 من قريش وهي الغايدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر
 امر الخلافة وراى شروطها كأنها مفقودة في ظنه عدل الى
 سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولاة المفيد
 للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير
 محتاج اليه اذا الغايدة في النسب انما هي العصبية وهي
 حاصلة من الولاة وكان ذلك حرصا من عمر على النظر
 للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تاحقه به لاية ولا عليه فيه
 عهدة (ومن) القايلين بنفى اشتراط القرشية القاضي ابو بكر
 الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قريش من الشلاشي
 والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط
 القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما راى عليه حال

الخلفاء لعهدده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة
الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين
ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على امره
لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية
واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم
والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع
(ولنتكلم) الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب
في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها
من مقاصد وحكم تشتمل عليها ونشرع لاجلها ونحن اذا
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد
الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى
الله عليه وسلم كما هو المشهور وان كانت تلك الوصلة
موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد
الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصاحبة في اشتراط
النسب هي المقصودة في مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم
نجدها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة
ويرتفع الخلل والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن
اليه الامة واحكامها وينتظم جبل الالفه فيها وذلك ان قريشا
كانوا ائمة مضر واصحابهم واهل الغلب منهم وكان لهم على
ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب

يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغيرهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتمات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرين على سوق الناس بعضا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام الهلة واتفاق (1) الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو

(1) Man.A. et B. اتفاق.

لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة عليها ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية على من معها بعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعم ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شأن النساء واتهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن نعبا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شئ وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر

أمة أو جيل إلا من غلب عليهم وقتل ان يكون الأمر الشرعيّ
مخالفاً للأمر الوجوديّ والله تعالى اعلم

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف
الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه
رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست
من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القايم
بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز
للنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين
الامام لهم ويكون معصوما من الكباير والصغاير وان عليا
رضي الله عنه هو الذي عتبه صلوات الله عليه بنصوص
ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة
السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في
طريقه وبعيد عن ناويلانهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص
عندهم الى جليّ وخفيّ فالجليّ مثل قوله من كنت مولاة
فعلي مولاة قالوا ولم نطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا
قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومنها قوله صلى
الله عليه وسلم اقضاكم على ولا معنى للامامة الا القضاء
باحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم من الله

بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والهراد احكم
والقضا ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون
غيره ومنها قوله من يبايعني على روجه وهو وصي وولي
هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على (وسن) الخفي
عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة
براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم
اوحى اليه ليلغده رجل عنكم او من قومك فبعث عليا
ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا
فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر فقد
قدم عليهما في غزائين اسامة بن زيد مرة وعهرو بن العاص
اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين علي للاخلافه
دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن
تأويلهم (ثم) منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على
تعيين علي وتشخيصه وكذلك ينتقل منه الى من بعده
وهؤلاء الامامية ويتبرون من الشيخين حين لم يقدموا عليا
ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص وبغضون في امامتهما
ولا نلتفت الى نقل القدر فيهما من غلاتهم فهو مردود
عندنا وعندهم (ومنهم) من يقول ان هذه الادلة انها اقتضت
تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث
لم يضعوا الوصف موضعدهم وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرون من

الشيخين ولا يغمصون في امامتها مع قولهم بان عليا افضل
منها لكتهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل (ثم
اختلفت) هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي (فمنهم)
من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم
باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذاهبهم
(ومنهم) من ساقها الى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة
وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا
ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب
الذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان
ناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام
فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوهما زيد العابد بن اماما لانه لم
يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه
مذاهب المعتزلة واخذة اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر
الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما
ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سموا
رافضة (ومنهم) من ساقها بعد علي او ابنيه السبطين على
اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى
ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاة وبين هذه
الطوائف اختلافات تركناها اختصارا (وفيهم) طوائف يسمون

الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايهان فى القول بالاهيئة هولاء
الايمة اما على انه بشر انصف بصفات الالوهيئة وان الاله
حل فى ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب
النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على
رضى الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط
محمد بن الحنفية المختار بن ابى عبيد لها بلغه مثل
ذلك عنه فصرح بلغه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر
الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه (ومنهم) من يقول ان
كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام
اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ (ومن هولاء
الغلاة) من يقف عند واحد من الايمة لا يتجاوزة الى غيره
بحسب من تعين لذلك عندهم وهولاء الواقفية فبعضهم
يقول هو حتى لم يمت الا انه غايب عن اعين الناس
ويسنشهدون لذلك بقضية الخضر قيل مثل ذلك فى
على رضى الله عنه وانه فى السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وقالوا مثله فى محمد ابن الحنفية وانه فى جبل
رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الايتم من قريش	ولاة الحق اربعة سواء
على والثلاث من بنيه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبب سبب ايهان وبت	وسبب غيبته كربلاء
وسبب لا يذوق الموت حتى	يقود الجيش يقدمه الولاة
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وما

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى ويلقبونه المهدي دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيهلك الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع فى كتاب الترمذى فى المهدي وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهمفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفصون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد (وبعض) هولاء الواقفية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بها وقع فى القران الكريم من قصة اهل الكهف والذى مر على قرية وقتيل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت فى طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هولاء السيد الحميرى ومن شعرة فى ذلك

اذا ما المرء شاب له فذال
فقد ذهبت بساكنته واودى
فليس بعائيد ما فات منه
الى يوم يؤب الناس فيه
ادبى بان ذلك ديس حق
كذاك الله اخسر عن اناس
وعلمه الموانط بالحضن
فقم يا صاح نك على الشباب
الى احد الى يوم الاياب
الى دنياهم قبل الحساب
وما انا فى الشور بذي ارتياب
حيوا من بعد درس فى الشراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ابنة الشيعة فانهم لا يقولون بها
ويبطلون احتجاجانهم عليها (فاما الكيسانية) فساقوا الامامة
من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء
الهاشمية ثم انترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على
ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم
لما مات بارض الشراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد
بن على بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه
ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن
الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله
ابى جعفر الملقب بالينصور وانتقلت في ولده بالنص
والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية
القائمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من سيرة العباسية وربها
يعتدون ذلك بان حقيهم في هذا الامر يصل اليهم من
العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبة
العمومية (1) (واما الزبديّة) فساقوا الامامة على مذاهم فيها وانها
باختيار ابنة الحل والعقد لا بالنص فقالوا باسمه على ثم
ابن الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم
ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج

(1) Man C. بعصبة. D. بعصبة العموم.

بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية
 بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل
 بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
 بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالبحار
 وتلقب بالمهدى وجاءت عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد
 بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن
 علي فزحف اليهم المنصور في عساكره او قواده فهزم
 وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك
 كله وهي معدودة في كرامانه وذهب اخرون منهم الى ان
 الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن
 القاسم بن علي بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي
 فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى
 المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من
 الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي
 حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
 الامامة في عقبه واليه انسب داعي الزنج كما نذكره في
 اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن
 عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك
 وقام بامرته ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان
 من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في

اخبارهم وبقى امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
 الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن
 محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن السبط
 واخوه محمد بن زيد (ثم) قام بهذه الدعوة في الديلم
 الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن ابن
 على بن الحسن بن على بن عمر وعمر اخو زيد بن على
 فكانت لبيته في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في
 اخبارهم (واما الامامية) فساقوا الامامة من على الوصي الى
 ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه
 على زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه
 جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الانبياء عشرة لوقوفهم عند الثاني عشر
 من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمن كما مر (واما
 الاسماعلية) فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابنه جعفر
 الصادق وفايدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل
 ابائه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى
 ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين لان الامام عندهم
 قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة

للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته ابو عبد الله الشيعي في كتامة وتابعه الناس على دعوته ثم اخرج من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا الهاحدة لها في ضمن مقالاتهم من الاحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن ابن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الططر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح في دعونه المذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (واما الاثنى عشرية) وربها خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن

العسكري ثم ابنه مجد المهدي المنتظر الذي فدّمنا ذكره
وفى كل واحد من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير لا ان
هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتب
الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

فصل في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعّية للعصبيّة ليس وقوعه عنها
باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل
وان الشرايع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ
فيه من العصبيّة اذ المطالبة لا تتم الا بها كما قدّمناه
فالعصبيّة ضرورة للملّة وبوجودها يتم امر الله منها وفي
الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا
الشارع قد ذمّ العصبيّة وندب الى اطراحها وتركها فقال
ان الله اذهب عنكم غيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء انتم بنو
آدم وادم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ووحدناه ايضا قد ذمّ الملك واهله ونعى على اهله احوالهم
من الاستمتاع بالخلاف والاسراف في غير القصد والتسكّب
عن صراط الله واتما حضّ على الالفة في الدين وحذّر من
الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع

مطية للأخرة ومن فقد الهطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التى نشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها فى اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزع من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان والاعراض الذميمة فاذا كان الغضب فى الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا فى حقه وانها المراد نصريفها فيما ابيح له باشماله على الصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع (1) وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت فى الجاهلية وان (2) يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان

(1) Man D السارح

Ibid

ذلك مجان من افعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصبية في الحق وافاسمة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم مند الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لها فيه من التغلب بالباطل وتصريف الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله وسلامه عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه انه بدعزل عن الباطل في النبوة والملك (ولما) لقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابنة المالك وزبه من العبد والعدو استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية قال يا امير المؤمنين انا في نغر تجاه العدو وينا الى مباحاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطيه لها احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنع هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروج منها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب

الباطل والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله تعالى فسكت وهكذا شأن الصحابة في رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضى الله عنه على الصلاة اذ هي اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجز للهلك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلمة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعا سنن صاحبه وقابل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقابل الامم فغلبهم واذن للعرب في انتزاع ما بابديهم من الدنيا والملوك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت الى عثمان ثم الى على والكل متبرون من الملك منكبون عن طرده واكسد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عضاضة الاسلام وبدادة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا ونرفها لا من حيث دينهم الذى يدعوهم الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وسظفد الذى الفوه فلم تكن امة اسغب (1) عيشا من مضر لما كانوا

(1) اسعت Man. D

بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياض وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس وبفخرون باكل العلهز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة فى الدم وبطبخونه وقريب من هذا حال قريش فى مطاعهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى اسم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذة الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضى الله عنه يرقع ثوبه بالجلد وكان على ما يقول يا صفراء وبا بيضاء غرى غيرى وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم يعهد للعرب لقاتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم بالجملة وانما ياكلون الحنطة بخالها ومكاسبهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم (قال) المسعودى فى ايام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون وماية الف دينار والى الف درهم وقيمة

ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها مايتا الف دينار وخلف
ابلا وخیلا كثيرة (وبلغ) الثمن الواحد من متروك الزبير
بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة
(وكانت) غلة طاحنة من العراق الف دينار كل يوم ومن
ناحية الشراة اكثر من ذلك (وكان) على مربط عبد الرحمن
ابن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الآف من الغنم
وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربع وثمانين الف (وخلف)
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خلف من الاموال والضياع بماية الف دينار (وبنى) الربير دارة
بالبصرة وكذلك بنى بهصر والكوفة والاسكندرية (وكذلك)
بنى طاحنة دارة بالكوفة وشيد دارة بالمدينة وبنها بالجص
والاجر والساج (وبنى) سعد بن ابي وقاص دارة بالعقيق
ورفع سبكنها واوسع فضاها وجعل على اعلاها شرفات (وبنى)
المقداد دارة بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (وخلف)
يعلى بن منبة خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته
ثلثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودي فكانت مكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعا عليهم في دينهم اذ هي
اموال حلال لانها غنابم وفيء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف
انها كانوا على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك
بفادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانها يرجع الى ما

أشرفنا اليه من الأسراف والخروج به عن القصد وإذا كان حالهم
قصدًا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار
عزنا لهم على طريق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت
البداءة والغضاضة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي
هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان
حكم ذلك الملك عندهم حكم الرفه والاستكثار من الأموال
فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن
مقاصد الدبابة ومذاهب الحق (ولما) وقعت الفتنة بين
على معاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق
والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض ديني أو لاثار
باطل أو لاشعار فقد كما بتوهمه متوهم أو ينزع اليه ما احد
وانما اختلف اجتهادهم في الحق وخالف كل واحد
نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان
المصيب عليا فلم يكن معاوية قابلا فيها بقصد الباطل وانها
فصد الحق واخطاء والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم
اقتضت طبيعة الملك للانفراد بالهجد واستيثار الواحد به ولم
يكن معاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو امر
طبيعي - ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرند بنوامية ومن لم
يكن على طريقة معاوية في اقتضاء الحق من ابايعهم
فانصروا عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معاوية على

غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في
افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس
وراءه كبير مخالفة (وقد) كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
راى ابا القاسم بن محمد بن ابى بكر لو كان لى من الامر
شىء لوليته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكته كان
بخشى من بنى امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه
فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لىلا تقع الفرقة وهذا كله انها
حمل عليه منازع الهلك التي هي مقتضى العصبية
فالهلك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في
مذاهب الحق ووجهه لم يكن في ذلك تكبر عليه وقد
انفرد سليمان وابوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى
اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية
الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانوا بنو امية لم
برضوا تسليم الامر لمن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه
مع ان ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب احد في ذلك
ولا نظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتد ما
كان عليه من الفسق حاش لله لمعاونة من ذلك وكذلك
كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذاهبهم
في الملك مذهب اهل البطالة والبغى انما كانوا متحريين

لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها
 مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو اهم لديهم من كل مقصد
 يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم
 السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الهوط بعهل عبد
 الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين
 وفضلته معروف ثم تدرج الامر في ولده عبد الملك وكانوا
 من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد
 العزيز ونزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم
 يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم
 الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري
 القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما
 دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية
 منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بيهكان وصرفوا
 الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو
 الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر
 الى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا
 وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتاذن الله بحربهم وانتزع
 الامر من ابدى العرب جهلة وامكن سواهم منه والله لا يظلم
 مقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم
 في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى

المسعودى مثله فى احوال بنى امية عن ابى جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بنى امية (فقال) اما عبد الهالك فكان جبارا لا يبالى بما صنع واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لها مهد لهم من السلطان يحوطونه وبصونون ما وهب الله لهم منه مع نستهم معالى الامور ورفضهم اذانبها حتى افضى الامر الى ابنايهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجه واما لمكرة مع اطراحيهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة (ثم) استحضر عبد الله بن مروان فقضى عليه خبيرة مع ملك النوبة لما دخل ارضه فارا امام بنى العباس قال اقامت مليا ثم ابانى ملكهم فقعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيبة فقلت ما منعك عن القعود على ثيابنا قال انى ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله ثم قال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا وانباعنا قال فلم تطؤون النزع بدوابكم والفساد محرّم عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا وانباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب

والحرب وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك
وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا فاطرق نيكت بيده في الارض ويقول عبيدنا
وانباعنا واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الى وقال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحلتم ما حرم الله واتيم ما
عنه نهيتهم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم
الذل بذنوبكم ولله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان
يحل بكم العذاب انتم ببلدى فينالى معكم وانما الضيافة
ثلاث فتزود ما احتجت اليد وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور
واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك
وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه
وهو الدين فكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى
هلاكهم وحدهم دون الكافة (فهذا) عثمان لما حصر في الدار
جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عند فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة للفرقة وحفظا للالنة التي بها حفظ الكلمة
ولو ادى الى هلاكه (وهذا) على اشار عليه المغيرة لاول ولابنه
باستبقاء الزبير ومعاوية وطاححة على اعمالهم حتى يجتمع
الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من
امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش

الذى ينافيه الاسلام وغدى عليه المغيرة من الغداة فقال
اشرت عليك بالامس بها اشرت ثم عدت الى نظرى
فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيها رايته
انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششنى اليوم ولكن معنى ما اشرت به زايد (1) الحق وهكذا
كانت احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بنهزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رابت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معانى الخلافة
من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق ولم يظهر
التغبر الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا
وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم
ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا
بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت فى
اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات والملاذ وهذا كما
كان الامر لخلف بنى عبد الملك ولهن جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية
العرب والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها
ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وائرها بذهاب عصبية العرب

(1) زيد. B. رايد. A. Man. (1)

وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم وبقي الامر ملكا بحتا كما كان
الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة
نبركا والملك بجميع القابله ومناحيه لهم وليس للخليفة منه
شئ وكذلك فعل ملوك زناة بالمغرب مثل صنهاجة
مع العبيديين ومغراوة وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى امية
بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد
وجدت بدون الملك اولا ثم التبت معانيها واختلطت
ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبته من عصبية الخلافة
والله مقدر الليل والنهار

فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد
اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين
لا ينزعه في شئ من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر
على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده
جعلوا يدهم في يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع
والمشترى فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة
بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو
المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
بيعة العقبه وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة
الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستخلفون على

هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسّمى هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين المكرة انكرها الولاد عليه وراوها قاذحة فى ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى الله عنه (واما) البيعة المشهورة لهذا العهد فهى نحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التى هى العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع فى التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدي الناس التى هى الحقيقة فى الاصل لما فى المصافحة لكل احد من التنزل والابتدال الهافيين للرياسة وصور المنصب الملوكى الا فى الاقل مهن يقصد التواضع من الهلوك فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة فى العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لها يلزمه من حق سلطانته وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومعجانا واعتبر ذلك من افعاله مع الملوك والله القوى العزيز

فصل فى ولاية العهد

اعلم انا قدّمنا الكلام فى الامامة ومشروعيتها لها فيها من

المصاححة وان حقيقتها النظر في مصالح الامة لدينهم
ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته
وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقوم لهم من يتولى
امورهم كما كان هو يتولاها ويشقون بنظره لهم في ذلك
كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع
باجماع الامة على جوازه وانعقاده اذا وقع فعهد ابو بكر الى
عمر بمحضر الصحابة واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة
عمر رضى الله عنهم اجمعين وكذلك عهد عمر في الشورى
الى الستة من بقية العشرة وجعل لهم ان يختاروا للمسلمين
فقوض ذلك بعضهم الى بعض حتى افضى الى عبد
الرحمن بن عوف فاحتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين
على عثمان وعلى واثر عثمان بالبيعة على ذلك لهوافقته
اباه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده
فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والهلاء من الصحابة
حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره واحد منهم فدل على انهم
متفقون على صحة هذا العهد عارفين بهشروعيته والاحياع
حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى
ابيه وابنه لانه مأمون على النظر لهم في حياته فاحرى ان
لا يتحمل فيها تبعة بعد سبانه خلافا لمن قال بانها سد في
الولد والوالد ولمن خصص التهمة في الولد دون الوالد فانه

بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اثار مصالحة او توقع مفسدة فتنتفى الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معاوية الى اثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصالحة في اجتماع الناس وانفاق اهوايهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن بطن انه اولى بها وعدل الى المفضول عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه اهم عند الشارع ولا بطن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحابه مانعة مما سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكونهم عند دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تاخذة في الحق هواده وليس معاوية ممن تاخذة العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على تورعه عن الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عند ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من

بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحقّ ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى امية والسفاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكّلوا كل احد ممن يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو قد عهد الى غير من ترتضيه العصابة لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضى الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وانا اليوم والى على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعمّه ابراهيم بن المهدي وظهر من

الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبايل والعصبيات وتختلف باختلافها المصالح ولكل منها حكم يخصه لطفا من الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يختص به من يشاء فينبغي ان نحسن النية فيه ما امكن خوفا من العتب بالمناصب الدينية والملك لله يؤنيه من يشاء من عباده (وعرض) هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاولى منها ما حدث في يزيد من الفسق ابام خلافه فاياك ان تظن ببعاوية رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل عن ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام حيانه في سماع الغناء ونهاه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة يومئذ في شأنه فمنهم من راي الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من ائارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبية بنى

امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية
مضرا جمع فهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم
فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون
ولا تكبير على احد من الفريقين فهما صدهم في البر وتحري
الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والثاني هو شأن العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعيه الشيعة من وصيته
لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النفل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس
اكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على
انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل
في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني
ابا بكر وان انرك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي
صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضررون موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي
صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شأنهما في العهد فابى
علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطيع فيها آخر
الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد
لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من

اركان الايمان كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من
 الصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان
 الايمان لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستخلف فيها كما
 استخلف ابا بكر في الصلاة ولكن يشتهر كما اشتهر امر
 الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لدينا دليل على ان الوصية به لم تقع وبدل
 ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهتما
 كما هو اليوم وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والانتراق
 في مجارى العادة لم يكن بومئذ بذلك الاعتبار لان امر
 الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تاليف القلوب
 عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي
 كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لصرهم ونردد
 خبر السماء بينهم ونجدد خطاب الله في كل حادثة يبلى
 عليهم فلم يحتاج الى مراعاة العصبية لها شمل الناس من
 صبغة الانقياد والاذعان وما يستفترقهم من نتابع هذه المعجزات
 الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا
 لها ودهشوا من متابعتها فكان امر الخلافة والملك والعهد
 والعصبية وسائر هذه الانواع مندرجا في ذلك العباب كما
 وقع فلما انحسر ذلك الهدد بذهاب تلك المعجزات

ثم بقاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت آثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيها ينشاء عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات لا كيدة كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية ازمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية (1) والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضى الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشاء الاجتماع والتوافق الكفيل بهقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشاء عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعبرة والمجتهدون اذا اختلفوا عن الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ولم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجتماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة

(1) Mon. A et B. الجماعة

ولا يتعتين المخطئ منها والتأنيب مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطاء والتأنيب وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هى واقعة على مع معاوية ومع الزبير وطاحمة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك (واما واقعة على) فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مفرقين فى الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع (1) ومنهم من نوقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والهيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وفدامة من مطعون وابى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى تكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه ووطنوا بعلى هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لا فى المهالات (2) عليه فحاش لله ولقد كان معاوية اذا صرح بهلامته انما

(1) Man. A. et B. تابع

(2) Man. A. المحالاة. B. المهالة.

يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى
 على ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تآخر عنها باجماع (1)
 من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم
 وموطن الصحابة وارجاء الامر في المطالبة بدم عثمان الى
 اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك ورأى
 الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل
 والعقد بالافاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق
 اهل الحل والعقد ولا تلزم لعقد من تولاها من غيرهم او من
 القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم
 عثمان ثم يجنحون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمرو
 بن العاص وام المؤمنين عايشة والزبير وابنه عبد الله وطاححة
 وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن
 جديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن
 بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من
 بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين
 ونصوب رايه فيما ذهب اليه وتعيين الخطاء في جهة
 معاوية ومن كان على رايه وخصوصا طاححة والزبير
 لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع
 التأييم عن كل واحد من الفريقين كالشأن في المجتهدين

(1) Man. C. et D. باجماع.

وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي
 اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله
 عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذى نفسى بيده
 لا يموتن احد من هولاء وقلبه نقى الا ادخله الله الجنة يشير
 الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يقعن عندك ريب
 فى عدالة احد منهم ولا قدح بشئ من ذلك فهم من علمت
 وافعالهم واقوالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ
 منها عند اهل السنة الا قولا للمعتزلة فيهن قائل عليا لم
 يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت
 بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف فى
 شأن عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت
 فتنة ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
 وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة
 والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب قد نزلوا هذه
 الامصار حفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه
 وسلم ولا هذبتهم سيره وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
 فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن
 سكينة الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى
 ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل
 واهل الحجاز ويشرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا

من ذلك وغصوا به لها يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم
وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل
وعبد القيس من ربيعة وقبائل كندة ولازد من اليمن وقبائل
نميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغض من قريش
والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك
بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز عن
السربة والعدول في القسم عن السوية (1) وفشت القالة (2)
بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه
وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف الخبر بعث
ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا
على الامراء شيئا ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما
علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشاعات
تكثر والاشاعات تنمو وروى الوليد ابن عقبة وهو على
الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحدثه عثمان
وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال
وشكوا الى علي وعائشة والزبير وطاححة وعزل لهم عثمان
بعض العمال فلم ينقطع بذلك السننتهم بل وفد سعيد بن
العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه
معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من

(1) Man. A. et B. التسوية

(2) Man. A. et B. القائلة.

الصحابة بالمدينة ونقحوا عليه امتناعه من العزل فابى
 الا ان يكون عن جرحه ثم نقلوا الكير الى غير ذلك من
 افعاله وهو متهتك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمّع
 قوم من الغوغا وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من
 عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من
 البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك على وعائشة
 والزبير وطلحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان
 الى رأيهم فيها وعزل لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم
 رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه فى يد
 حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك
 فقالوا مكّتا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال
 عثمان ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم
 بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة
 فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بامر الدين
 ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا
 والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظنّ بهم الا خيرا
 لها شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم (واما الحسين)
 فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره ودعت
 شيعة اهل البيت بالكوفة الحسين ان ياتيهم فيقوموا بامره
 فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه

لا سيّما على من له القدرة على ذلك وظنّها من نفسه
 باهليّته وشوكته فاما الاهليّة فكانت كما ظنّ وزيادة واما
 الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في
 قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف
 انما كانت في بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وساير
 الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل
 الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصر
 المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهليّة
 ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق
 المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوايد فعادت العصبية
 كما كانت ولدن كانت واصبحت مضر اطوع لبنى امية
 من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبتين لذلك
 غلط الحسين الا انه في امر دنياوتى لا يضره الغلط فيده
 واما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه
 القدرة على ذلك ولقد عدله ابن عباس وابن الزبير وابن
 عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
 غلظه في ذلك ولم يرجع عها هو بسبيله لما اراده الله (واما)
 غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد

بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد
وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشاء عنه من الهرج والدماء
فاقصروا عن ذلك ولم يبايعوا الحسين ولا انكروا عليه
ولا ائموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك
الغلط ان تقول بتأنيب هولاء لمخالفة الحسين وقعودهم عن
نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج
عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء
على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله و ابا سعيد
وانس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم
ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه
انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه
وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله
لما كان عن اجتهاد وان كان هو على صواب اجتهاد ويكون
ذلك كما يحمد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب
النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن
اجتهاد هولاء وان كان خلافة عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله
يزيد واصحابه ولا نقولن ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز
هولاء الخروج عليه فافعاله عندهم نافذة صحيحة واعلم انه
انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من
شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا

يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته الموكدة
لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد
والصحابه الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد
غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في
كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حملة عليه الغفلة عن اشتراط الامام
العادل في قتال اهل الآراء (واما ابن الزبير) فانه راي في
خروجه ما راه الحسين وظن كما ظن وغلطه في امر
الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية في جاهلية
ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء في جهة مخالفه كما كان
في جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك
قضى لنا به ولم نجد هاهنا واما يزيد فعين خطاوه فسقه
وعبد الهلك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة
وناهيك في عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن
عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز
مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير
لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون مجولون
على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهما والقتل
الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجرى على قواعد الفقه

وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحرّيه الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة القدر فمن الذى يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرنى ثم الذى يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفسحوا الكذب فجعل الخيرية وهو العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فاياك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرفه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قتلوا ولا قتلوا الا فى سبيل جهاد واظهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقنذى كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكم الله فى خلقه واكوانه

فصل فى الخطط الدينية الخلافة

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذى هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى

رعايته مصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا ان هذا
العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد
ان اعملت وقدما ان الملك وسطوته كافي في حصول
هذه المصالح نعم انها تكون اكمل اذا كانت بالاحكام
الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج
تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد
اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة
وظائف تابعة تتعين خططا وتوزع على رجال الدولة
وظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي
تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه
بسلطانه (واما) المنصب الخلفي وان كان الملك يندرج
تحت بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فنصرفه الديني يختص
بخطط ومرتب لا تعرف الا بالخلفاء الاسلاميين (فلنذكر)
الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الهلوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والتضام
والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرج تحت الامامة الكبرى
التي هي الخلافة وكانها الام الكبرى والاصل الجامع وهذه
كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعدم نظر الخلافة ونصرفها
في سائر احوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ احكام الشرع
فيها على العموم (فاما امامة الصلاة) فهي ارفع هذه الخطط

كلها وارفع من الملك بخصوصه الندرج معها تحت
 الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن
 ابي بكر رضى الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
 في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لديانا فلو لا ان الصلاة ارفع من السياسة
 لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في
 المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات
 المشهودة (1) واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست
 للصلوات العامة (فاما) المساجد العظيمة فامرها راجع الى
 الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض
 فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيد
 والخسوفين والاستسقاء ونعين ذلك انما هو من طريق
 الاولى والاستحسان وللا يفتات (2) الرعايا عليه بشئ من النظر
 في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من
 يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده
 واجبا (واما) المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع
 الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام
 هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه
 وبسببها في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا

(1) Man. A. et B. المشهورة.

(2) Man. D. يتفاوت.

نطول بذكره (وقد) كان الخلفاء الاولون لا يقلدونها لغيرهم
من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند
الايدان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقانها يشهد لك
ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها
وكذا كان حال الدولة الاموية من بعدهم استيثارا بها
واستعظاما لرتبتها (يحكى) عن عبد الملك انه قال لحاجبه
قد جعلت لك حجابة بابى الا عن ثلاثة صاحب الطعام
فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد
فان في تاخيرها فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك
وعوارضه من الغلظة والترقع عن مساواة الناس في دينهم
ودياهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستأثرون بها في الاحيان
وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويها فعل
ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم
(واما الفتيا) فللاخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا
الى من هو اهل لها واعانتها على ذلك ومنع من ليس
باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم
فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له
باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه
والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد
العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ايمتها كما مر

فلا بد من استيذانه في ذلك وان كانت من مساجد
العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون
لكل احد من المفتيين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه
من التصدي لما ليس له باهل فيضل به المستهدى ويزل
به المسترشد وفي الاثر اجراؤكم على الفتوى اجراؤكم على
جرائم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجبه
الصلاح من اجازة او رد (واما القضاء) فهو من الوظائف
الداخلية تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس
في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام
الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من
وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر
الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضاء في شئ الى
سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضي الله
عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى
ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب
المشهور الذي قدور عليه احكام القضاء وهي مستوفاة فيه
(اما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم اذا
ادلى اليك فانه لا ينفع بكلم بحق لا نفاذ له واس بين
الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على

من ادعى واليدين على من انكر والصلاح جازر بين المسلمين
 الا صلاحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته
 امس فراجعه اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان
 ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
 التماذي في الباطل الفهم فيما تلجأ في صدرك مما
 ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس
 الامور بنظايرها واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا
 ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت
 القضية عليه فان ذلك انفي للشك واجلى للعمى
 المسلمون عدول بعضهم في بعض الا مجلودا في حد او
 مجريا عليه شهادة زور او ظنينا (1) في ولاء او نسب فان الله
 سبحانه عفى عن الايمان ودرء بالبينات واياك والقلق
 والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن
 الحق يعظم الله به الاجر وبحسن به الذكر والسلام انتهى
 كتاب عمر واتما كانوا يفلدون القضاء لغيرهم وان كان مما
 يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من
 الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن
 ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية به فاستخفوا امر
 القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيد من يقوم به

(1) Man. A. et C. ظنيا. D.

تخفيفا عن انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلّدونه اهل
عصبيتهم بالنسب او الولاء ولا يقلّدونه لمن بعد عنهم في
ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب
الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية لان القاضى انما
كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع
لهم بعد ذلك امور اخرى على التدرى بحسب اشتغال
الخلفاء والهلوكت بالسياسة الكبرى واستقرّ منصب القضاء
آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء
بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور
عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي
وصايا المسلمين واوراقهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء
على راي من يراه والنظر في مصالح الطرقات والابنية
وتصفح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم
بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها
من نعلقات وظيفته وتوابع ولايته (وقد) كان الخلفاء من قبل
يجعلون للقاضى النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة
من سطوة السلطنة ونسفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم
رهبة يقمع المظالم من الخصمين ويزجر المتعدى وكان يهضى
ما عجز القضاة او غيرهم عن امضائه ويكون نظره في
البيئات والتعزير واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم

الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصالح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضى وكان الخلفاء الاولون
يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدى من بنى العباس وربما
كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل على رضى الله عنه مع
قاضيه ابى ادريس الخولانى وكما فعله المامون ليحيى ابن
اكتم والمعصم لابن ابى داود وربما كانوا يجعلون للقاضى
قيادة الجهاد فى عساكر الصوائف وكان يحيى ابن
اكتم يخرج ايام المامون بالصايفة الى ارض الروم
وكذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من
بنى امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظائف
انما تكون للخلفاء او من يجعلون ذلك له من وزير
مفوض او سلطان متغلب (وكان) ايضا النظر فى الجرائم
واقامة الحدود مختصا فى الدولة العباسية والاموية بالاندلس
والعبيدية بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهى
وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة
فى الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل
تبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة فى محلها ويحكم فى
القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب فى حق من لم
ينته الى الجريمة ثم تتوسى شأن هاتين الوظيفتين فى الدول

التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم واجعل الى
السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت
وظيفة الشرطة قسمين منهما وظيفة التهم على الجرائم واقامة
حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب
لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة
دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة
باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود فى الجرائم
الثابتة شرعا فجمع للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من
نوابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك
وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما
كان خلافة دينية وهذه الخطّة من مراسم الدين فكانوا
لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم
بالحلف او الرق او بالاصطناع من يوثق بكفايته وغنايه
فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وظهورها وصار الامر
كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه
بعض الشئ لانها ليست من الثاب المالك ولا مراسمه ثم
حرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من اسم
الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافة بعدا عنهم
بمنحها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان
الشرعية دينهم والنبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه

وشرايعه نحلّتهم بين الأمم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك
 أنّما يولونها جانبا من النعظيم لما دانوا بالملّة فقط فصاروا
 يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول
 الخلفاء السالفة وكان أولئك المهاقلون بما اخذهم ترف
 الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها
 والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن
 انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكة من بعد
 الخلفاء مختصة بهذا الصنف من الهستضعفين في اهل
 الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقدهم الاهلية بانسابهم
 وما هم عليه من الحضارة فاحقهم من الاحتقار ما يلحق
 الحضر المنغمسين في الترف والدعة البعدا عن عصبية
 الملك الذين هم عبال على الحامية وصار اعتبارهم في
 الدولة من اجل قيامها بالملّة واخذها باحكام الشريعة لها
 انهم الحاملون للاحكام المفتون بها ولم يكن ايتارهم في
 الدولة حينئذ اكراما لذوانهم وانما هو لما يتلمح من التجهل
 بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم
 يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وان حضروه فحضور
 رسمى لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد أنّما هو لاهل
 القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل ولا عقد لديه اللهم
 اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنعم والله

الهوق (ورثها) يظنّ بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الهلوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجرى على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في هولاء لا تقتضى لهم بشئ من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لاعصبية له ولا بملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اى معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم شورا فيما يعلمه من الاحكام فموجودة في الاستفتاء خاصة واما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الهلوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكرامهم ولا يتصفون

لا بالاقول منها وفي بعض الاحوال والسلف رضي الله عنهم
واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافا بها
وتحقيقا (1) بهذاهبها فمن حملها انصافا وتحقيقا (2) دون
نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع
له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء
التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء
على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد
احق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث
صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب
اقوال ينصها علينا في كفيات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء
عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (العدالة)
وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه وحقيقة هذه
الوظيفة القيام عن اذن القاضى بالشهادة بين الناس فيما لهم
وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتابا في
السجلات يحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر
معاملاتهم وانما قلنا عن اذن القاضى لان الناس قد اختلطوا
ونخفى التعديل والجرح الاعلى القاضى فكانه انما ياذن
لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس امورهم ومعاملاتهم
وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من

(1) Man. C. تحققا.

(2) Man. تحققا.

الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة الاحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كآتهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هولاء لهذه الوظيفة عمّت الفائدة بهم في تعديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبيّنات الموثوقة فيقولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس فيها ليتعاهددهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي يتبّين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان وبفترقان والله سبحانه اعلم بالحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب

الامر بالهعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على
 القايم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين
 فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات
 ويعزّر ويؤدّب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة
 فى المدينة مثل المنع من المضايقة فى الطرقات ومنع
 الحمّالين واهل السفن من الاكثار فى الحمل والحكم
 على اهل المباني المتعينة للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من
 ضررها على السابلة والضرب على ايدى الهعّلين بالهكاتب
 وغيرها فى الابلاغ فى ضربهم للصبيان المتعلّمين ولا يتوقف
 حكه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل
 الى علمه من ذلك ويرفع اليد وليس له ايضا الحكم فى
 الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس فى الهعاش
 وغيرها وفى المكاييل والموازين وله ايضا حمل الهماطلين
 على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة
 ولا نفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها القضاء لعمومها وسهولة
 اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها
 على ذلك ان تكون خادمة له نصب القضاء وقد كانت
 فى كثير من الدول الاسلاميّة مثل العبيديّين بمصر والمغرب
 والامويّين بالاندلس داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى فيها
 باختياره ثم لها انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار

نظرة عاما في امور السياسة فاندرجت في وظائف الهلك وانفردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد آخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فتوضع على الدينار او الدرهم بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر (1) ومذهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا أنفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بهماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تدخل في عهوم ولاية القضاء ثم انفردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة (هذا) آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف

(1) Man. A. et B النظر

ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة
الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم
عليها في مكانها بعد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانه الا في
قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه في غالب
السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى
الخلافة او الحق في بيت المال وقد بطلت لدثور الخلافة
ورسومها وبالجملة فقد اندرجت (1) رسوم الخلافة ووظايفها
في رسوم الملك والسياسة في ساير الدول لهذا العهد
والله مصرف الامور بحكمه

فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بويع ابو بكر
رضي الله عنه كان الصحابة وسائر المسلمين يسمونه خليفة
رسول الله ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما
بويع لعمر رضي الله عنه بعهدة اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة
رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافائه
وانه يتزيد فيما بعد دايبا الى ان ينتهي الى المهجنة
ويذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف
فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى

(1) Man. A. et B. اندرست.

به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد ابن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ وانفق ان بعض الصحابة نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وقيل يزيد حاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول اين امير المومنين وسمعتها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبحت والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه بد وذهب لقبها له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سهمة لا يشاركون فيها احد سواهم ساير دولة بنى امية (ثم) ان الشيعة خصوا عليا رضى الله عنه باسم الامام نعتا له بالامامة التى هى اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى انه احق بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفاء حتى اذا استولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا

يدعون ايّتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعا له
وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه
السفاح بامير المومنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون
الابنة من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله
المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابى القسم من
بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المومنين
وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه
ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا
اللقب بامير المومنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز
والشام والعراق الموطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة
واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنقوان الدولة وبذخها لقب
اخر للخلفاء يتهيز به بعضهم عن بعض لها فى امير المومنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا
لاسمائهم الاعلام عن امتهاها فى السنة السوقة وصونا لها عن
الابتدال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والهادى والمهدى والرشيد
الى آخر الدولة واقتفى اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية
ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجرنا مع
الغضاضة والسذاجة لان العروبية ومنازعتها لم تفارق حينئذ
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما
بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما عملوه من انفسهم من

القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز اصل العرب والهلّة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بنى العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم وهو الناصر بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيبتهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسهل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسمّى بامير الهمانيين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذها لئن عنده ولم يكن لابائه وسلف قومه واشتهر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنابع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنى امية واقتسوه واقتسوه واقتسوه في الاختصاص بالالقباب بعد ان نسموا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بالقباب تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد

الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك
وبهاء الملك و ذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديّون
ايضا يخصّون بها امراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلفاء
قنعوا بهذه الالقاب وتجاؤا عن القاب الخلافة اذبا معها
وعدولا عن سماتها المختصّة بها شأن المتغلبين المستبدّين
كما قلناه قبل ونزع المتأخرون من اعاجم المشرق حتى
قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة
والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة
الى انتحال الالقاب الخاصّة بالملك مثل الناصر والمنصور
زيادة الى القاب كانوا يختصّون بها قبل هذا الانتحال
مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما اضافوها الى
الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين (واما
ملوك الطوائف بالاندلس) فاقسموا القاب الخلافة وتوزّعوها
لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا
بالناصر والمنصور والمعتمد والهظفر وامثالها كما قال ابن
شرف بنعي عليهم ذلك

مها يزهدي في ارض اندلس اسما معتد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهريكي انتفاضا صورة الاسد

وقد مرّ ذكرها (واما صنهاجة) فاقترضوا على الالقاب التي
كان خلفاء العبيديّين يلقبونها بها للتنويه مثل نصير الدولة

وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعد الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شأن مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الالقب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة (ولما) محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخير والافتداء نزعته همته الى الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اباد على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة له على المغرب واستشعار زتهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة (وجاء المهدي) على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤل اليه ذلك كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسهى اتباعه

الموحدين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى اهل البيت
 فى الامام المعصوم وانه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده
 نظام هذا العالم فسمى بالامام اولا لما قلناه من مذهب
 الشيعة فى القاب خلفائهم وادرف بالمعصوم اشارة الى مذهبه
 فى عصمة الامام وتنزه عنده اتباعه عن امير المومنين اخذا
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولها فيها من مشاركة الاغيار
 والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب
 ثم انتحل عبد المومن ولى عهده اللقب بامير المومنين وجرى
 عليه من بعده خلفاء بنى عبد المومن وآل ابى حفص بافريقية
 من بعدهم استيثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم
 المهدى من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده
 كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان
 ذلك دأبهم (ولها) انتقص الامر بالمغرب وانتزعه زناة
 ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسداجة واتباع لمتونة فى
 انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التى
 كانوا على طاعتها لبنى عبد المومن اولا ولبنى ابى حفص
 من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المومنين
 وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الملك وتثبيتها
 لمذاهبه وسياته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الهلّة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قائم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشرى لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم وينزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسي بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعاً لعوم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعاً وكرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القايمين بها اليها معا (واما) ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً الا في الهدافعة فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسد الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية بها فيها من الطلب للملك بالطبع كما قدمناه لانهم مكلفون بالنغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقى بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليها نحو اربعةماية سنة لا يعتنون بشيء من امر الملك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان القايم به

بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامه السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم في الدين وابعد عن شغب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله وسلامه عليه فحاربتهم امم الفلستين والكنعانيين والارمن (1) واذوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعه الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو اربعماية سنة ولم يكن لهم صولة الملك وسجر بنو اسرائيل من مغالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم في تملك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليها واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد

(1) Man. B الارم

سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدّمناه
الى دولتين كانت احدهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة
وكرسى ملكهم صبصطية وقد خربت من لدن بخت
نصر والاخرى بالقدس لبنى يهوذا وبنى يامين ثم غلبهم
بخت نصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك
اولا الاسباط العشرة في صبصطية ثم نانيا بنى يهوذا ببيت
المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وحرب مسجدهم
واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد
العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى
بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد
واقاموا امر دينهم على الرسم للكهنونية (1) فقط والملك
للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وعمار اليهود
في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم
بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم
الكهنونية (2) الذين كانوا فيهم من بنى حشمناي وفانلوا يونان
حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم
زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهارسى
حشمناي وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة
وافحشوا في القتل والهدم والتحريق وخرّبوا بيت المقدس

(1) Man. C. et D. الكهد

(2) Man. C. et D. الكهنة

واجلوسهم عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثانى
 للمسجد ويسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يقيم لهم بعدها
 ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك فى ملكة
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس المسمى بالكوهن
 (وكان المسيح) صلوات الله وسلامه عليه لما جاءهم بما جاء
 به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يده الخوارق العجيبة من ابراء المعتوه واحياء الموتى واجتمع
 عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه
 وكانوا اثنى عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعيين الى
 ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفى مدة
 هيردوس ملك اليهود التى انتزع الملك من بنى حشمتى
 اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم
 ملك القياصرة اوغسطس بغريده به فاذن لهم فى قتل وروع
 ما تلاه القران من امرة وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم
 الى بلاد الروم داعيين الى دين النصرانية (وكان بطرس كبيرهم
 فنزل برومة دار ملك القياصرة (ثم) كتبوا الانجيل الذى
 انزل على عيسى صلوات الله عليه فى نسخ اربع على
 اختلاف رواياتهم فكتب متا انجيله فى بيت المقدس
 بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطينى
 وكتب لوقا منهم انجيله باللطينى لبعض اكابر الروم وكتب

يوحنا بن زبدي انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وغالبها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا (واجتمع) الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الهة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بريا يوميين وكتاب الهقاييين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يوشع بن شارح وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب القتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالسيس (1) وفيه روبا يوحنا بن زبدي

(1) ابوغالسيس. Man. A. B. C.

(واختلف) شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها (وكان) صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه بسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نايب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع (وكان) بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام بخلافته في كرسى رومة اربوس (وكان) مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قسا على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من الهومنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس (ثم) لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقايدهم واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثماية وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه

الامانة وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبه ان البطرك
القايم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما
قرره حنايا تلميذ مرقس وابطل ذلك الراى وانما يقدم عن
ملاء واختيار من ائمة المومنين وروسائهم فبقى الامر ثم اختلفوا
بعد ذلك في قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره
ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل
فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك
بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف فيما ناب عن
البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة
يقال اخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك
عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بهصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه
كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الآن (ثم)
اختلف النصارى في دينهم بعد ذلك وفيها يعتقدونه في المسيح
وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على
صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى
ان استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقهم ولا يلتفتن الى غيرها
وهم الهلكية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نسخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجهلة معروفة وكلها

كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال إنما هو الاسلام او الجزية او القتل (ثم) اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة لليوم الهسهي بالبابا على راي الهاكية ورومة للافرنجية وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بهصر على راي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيتهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساففة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا نسهى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة من مذاجب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد لهاكت واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تخرجوا من افنراق الكساية وتجرى به العصبية التي لا فوقها منهم لتكون بده عالية على جميعهم وبسبونه الانبرطور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجبتين وبباشوره بوضع الباج على راسه للتبركت فيسهي الهتوج ولعله معنى لفظة الانبرطور هذا ما اخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين اللذان هما البابا والكومس واللذ يصل من بشاء وبهدى من بشاء

To: www.al-mostafa.com